بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[١] [أخبار عروة بن حزام وعفراء]:

قال أبو علي: حدثنا أبو بكر بن الأنباري - رحمه الله تعالى - قال: حدثنا أبو علي الحسن بن عُلَيْل العَنَزِي، قال: حدثنا علي بن الصَّبَّاح، قال: حدثنا أبو حاتم، عن الأصمعي، قال: حدثنا هشام بن محمد أبو السائب المخزومي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن السكن بن سعيد، عن النعمان بن بشير، قال: استعملني معاويةُ رضي الله عنه على صدقات بَلِيٍّ وعُذْرة، فإنّي لَفِي بعض مياههم إذ أتاني مُنْحرِد ناحيةً، وإذا بفِنائه رجلٌ مُسْتَلْقٍ وعنده امرأة وهو يقول أو يتغنى بهذه الأبيات: [الطويل]

جَعَلْتُ لعَرّاف اليَمَامة حُكْمَه ... وعَرّاف نَجد إن هما شَفَيانِي

فقالا نَعَمْ نَشْفِي من الداء كلّه ... وكَانَا مع العُوّاد يَبْتَدِران

فما تَرَكَا من رُقْيةٍ يَعلمانِها ... ولا سَلْوةٍ إلا وقد سَقَيانِي

فقالا شِفاكَ اللّه واللّهِ ما لَنا ... بما حُمِّلَتْ منك الضلوعُ يَدَان

فقلت لها: ما قصته؟ فقالت: هو مريض ما تكلّم بكلمة ولا أنَّ أنّةً منذ وقت كذا وكذا إلى الساعة، ثم فتح عينه وأنشأ يقول: [البسيط]

من كان مِنْ أُمّهاتي باكيا أبدا ... فاليومَ إني أرَاني اليومَ مقبوضَا

يُشْمِعْنَنِيه فإني غير سامعه ... إذا حُمِلْتُ على الأعناق معروضا[1]

ثم خَفَتَ فمات، فَغَمَّضْتُه وغَسَّلته وصلّيت عليه ودَفَنْتُه، وقلت للمرأة: من هذا؟ فقالت: هذا قتيل الحُبّ! هذا عُرْوة بن حِزَام!

[٢] قال أبو علي: قال أبو بكر: وقصيدةُ عروةَ هذه النونيةُ يختلف فيها الناس في بعض الأبيات ويتفقون على بعضها، فالأول الأبيات المجتمَع عليها وما يتلوها مما يُختَلف فيه، أنشدني جميعَه أبي رحمه الله! عن أحمد بن عُبَيد وغيره وعبدُ اللّه بن خَلَف الدَّلاَّل، عن أبي عبد الله السَّدُوسي وأبو الحسن بن البَرَاء، عن

(١) بهامش الأصل في نسخة: إذا علوت رقاب القوم معروضًا إلخ. ط

الزُّبَير بن بَكَّار وألفاظُهم مختلِطٌ بعضُها ببعض، وهي هذه: [الطويل]

خليليَّ من عُلْيا هلال بن عامر ... بضَنْعاءَ عُوجَا اليومَ وانتظراني
ولا تَزْهَدا في الأجر عندي وأجملا ... فإنَّكُما بي اليَوْمَ مُبْتَلَيانِ
ألم تعلما أن ليس بالمَرْءِ كلُّه ... أخٌ وصديق صالح فَذَراني
أفي كلِّ يومٍ أنت رام بلادها ... بعَيْنَيْن إنساناهما غَرِقان
أفا فاحملاني بارك اللّٰه فيكما ... إلى حاضر الرَّوْحاء ثُمَّ دعاني
على جَسْرة الأضلاب ناجيةِ السُّرى ... تُقَطِّع عَرْضَ البِيدِ بالوَخَدان
إليَّا على عفراء إنكما غدًا ... بشَحْطِ النَّوى والبَيْن مُعْتَرِفان
فيا واشِيَيْ عَفْرا دَعَاني ونَظْرةٌ ... تَقَرُّ بها عَيْناي ثم كِلَانِي
أغَرُّ كما مِلْي قميصٌ لَبِسْتُه ... جَدِيدٌ وبُرْدًا يَمْنَةٍ زَهِيَانِ
مَتَى تَرْفعا عنِّي القَمِيصَ تَبَيُّنا ... بيَ الضُّرُّ من عَفْراءَ يا فَتَيان
وتَعْتَرِفا لَحْمًا قليلًا وأعظُما ... وَفاقًا وقَلْبا دائمَ الخَفَقَان
على كَبِدِي من حُبِّ عَفْراء قُرْحةٌ ... وعَيْنَايَ من وَجْدٍ بها تَكِفَان
فَعَفْرَاءُ أرجَى الناس عندي مَوَدَّةً ... وعَفْراءُ عنِّي المُعْرِض المُتَوَانِي

قال أبو بكر قال بعض البصريين: ذكَّرَ المُعْرِض؛ لأنه أراد: وعفراءُ عنِّي الشخصُ المعرِضُ. وقال الكوفيون: ذكَّرَه بناء على التشبيه، أراد: وعفراءُ عنِّي مثلُ المعرض، كما تقول العرب: عَبْدُ اللّٰه الشمسُ مُنِيرةً، يريدون مِثْل الشمس في حالة إنارتها.

فيا لَيْتَ كلَّ اثنين بينهما هَوًى ... من الناس والأنعام يَلْتَقِيان
فيقضي حبيبٌ من حبيب لُبانةً ... ويَرْعاهما ربِّي فلا يُرَيان[1]
هَوَى ناقتي خَلْفِي وقُدَّامِيَ الهوى ... وإنِّي وإيَّاها لَمُخْتَلِفان
هوايَ أمامِي، ليس خَلْفِي مُعَرَّجٌ ... وشَوْقُ قُلُوصِي في الغُدُوْ يَماني
هَوَايَ عِرَاقِيٌّ وتَنْشِي زمامُها ... لَبَرْقٍ إذا لاح النجومُ يَماني
متى تَجْمَعِي شَوْقِي وشَوْقَكِ نَظْلَمِي ... وما لَكِ بالعَبْء الثقيل يَدَان
خَفِّضْ فيا كَبِدَيْنا من مَخَافة لَوْعة الفِرَاقِ ومن صَرْف النَّوَى تَجِفَّان[2]
وإذ نَحْنُ مِنْ أن تَشْحَط الدارُ غُربةً ... وأن شُقَّ لِلبَيْن العِصَا وَجِلان
يقول ليَ الأصحابُ إذ يَعْذُلُونَني ... أشَوْقٌ عراقيٌّ وأنت يَماني

---

(١) بهامش الأصل ما نصه ويروى: ويسترهما، بسكون الراء بدل قوله ويرعاهما على أن الأصل ويسترهما مضموم الراء فسكنت لكثرة الحركات اهـ. ط

(٢) تجف: تخفق وتضطرب. ط

وليس يَمَانٍ للعِراق بصاحب ... عَسَى في صُروف الدهر يلتقيان
تَحمَّلْت من عَفْراء ما ليس لي به ... ولا لِلجِبالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ
كأنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بجناحها ... على كَبِدي من شِدَّة الخَفَقَان
جعلت لعرّاف اليمامة حكمه ... وعرافِ نجد إن هما شفياني
فقالا نعمْ نَشْفِي من الداء كلِّه ... وقاما مع العوّاد يَبْتَدِرانِ
فما تركا من رقية يعلمانها ... ولا سلوة إلا وقد سقياني
وما شَفَيَا الداءَ الذي بيَ كلُّه ... ولا ذَخَرا نُصْحا ولا ألْوَانِي[1]
فقالا شفاك اللهُ واللهِ ما لنا ... بما ضُمِّنَتْ منك الضلوعُ يَدَان
فَرُحْت من العرّاف تسقُط عِمَّتي ... عن الرأس ما ألتاثُها بِيَدَان
مَعِي صاحبا صِدْق إذا مِلْتُ مَيْلة ... وكانا بِدَلِّي بَضْوتي عَدَلان
فيا عمُّ يا ذا الغَدْر لا زلت مُبْتَلَى ... خَلِيفا لِهَمٍّ لازم وهوان
غَدَرْتَ وكان الغدرُ منك سَجِيَّةً ... فألزمتَ قلبي دائم الخَفَقَان
وأورَثْتَني غَمًّا وكَرْبًا وحَسْرةً ... وأورثت عيني دائم الهَمَلان
فلا زِلتَ ذا شوق إلى من هَوِيتَه ... وقلبُك مقسوم بكل مكان
وإني لأهْوَى الحشر إذ قيل إنني ... وعفراءُ يوم الحشر مُلْتَقِيان
ألا يا غُرَابَيْ دِمْنَةِ الدار بَيْنَنا ... أبالهجر من عفراء تَنْتَجِبان
فإن كان حقًّا ما تقولان فاذْهَبا ... بلحمي إلى وَكْرَيْكُما فكُلاني
كُلاني أكْلاً لم يرَ الناسُ مثلَه ... ولا تُبْقِيا مِنِّي جَلَبِّيْ وازْدِرَدَاني
ولا يَعْلَمَنَّ الناسُ ما كان قِصَّتي ... ولا يأكُلَنْ الطيرُ ما تَذَران
أناسِيةٌ عَفراءُ ذِكْرَى بَعْدَ ما ... تَرَكْتُ لها ذِكْرًا بكل مكان
ألا لعن اللهُ الوُشاةَ وقَوْلَهم ... فلانةُ أضحت خُلَّةً لفلان
إذا ما جَلَسْنا مجلسًا نَسْتَلِذُّه ... تَوَاشَرَا بنا حتى أملَّ مكاني
تَكَنَّفني الواشون من كل جانب ... ولو كان واشٍ واحدٌ لكفاني
ولو كان واشٍ باليمامة أرضُه ... أحاذره من شُؤمه لأتاني
يُكَلِّفني عَمِّي ثمانين ناقةً ... ومالِيَ والرَّحمنِ غيرُ ثمان
فيا ليت مَحْيانا جميعًا ولَيْتَنا ... إذا نحن مُتْنا ضُمِّنا كَفَنان
ويا ليت أنَّا الدهرَ في غير رِيبَةٍ ... خَلِيَّانِ[2] تَرْعَى القُفر مؤتلفان

(١) ما ألواني: ما قصرا في حقي. ط
(٢) بهامش الأصل: ويروى بعيران بدل قوله خليان. ط

إذا ما وزدنا مَنْهَلا صاح أهلُه ... وقالوا بَعِيرا عُرَّةٌ[1] جَرِبَانِ

فواللّهِ ما حَدَّثْتُ سِرَّكِ صاحبا ... أخا لي ولا فاهت به الشفتان

سوى أنني قد قلت يومًا لصاحبي ... ضُحَى وقُلُوصانا بنا تَخِدان

ضُحَيًّا ومَسَّتْنا جَنوبٌ ضعيفة ... نَسِيمٌ لرياها بنا خفقان

تَحَمَّلْت زُفْرَات الضحى فأطَقْتُها ... ومالي بزَفْرات العَشِيّ يَدَان

فيا عَمْ لا أُسْقِيتَ من ذي قَرَابةٍ ... بِلَالاً فقد زَلَّت بك القَدَمان

ومَنَّيْتَني عفراء حتى زَجَوْتُها ... وشاع الذي مَنَّيْت كلَّ مكان

بُنَيَّةُ عَمِّي جِبلَ بيني وبينها ... وصاح لوَشْكِ الفُرْقةِ الصُّرَدان[2]

فيا حبَّذا مَنْ دونه يَعْذُلونني ... ومَنْ حَلِيَتْ عيني به ولساني

ومَنْ لو أراه في العَدُوّ أتيتُه ... ومَنْ لو يَراني في العدو أتاني

ومن هابني في كل أمر وهِبْتُه ... ولو كُنْتُ أمْضَى من شَبَاةٍ سِنَانِ

فواللّه لولا حُبُّ عَفْراءَ ما التقى ... عَلَيَّ رِوَاقا بَيْتِك الخَلَقَان

خِلِيقان هَلْهَالانِ لا خير فيهما ... فيبحان يَجْرِي فيهما اليَرَقان[3]

رِوَاقان هَفَّافان لا خير فيهما ... إذا هَبَّتِ الأرواحُ يَصْطَفِقَان

ولم أتْبَع الأظعانَ في رَوْنَق الضحى ... ولكنني على نَهَاضة الخَدِيان

لِعَفْراء إذ في الدَّهْر والناس غِرَّةٌ ... وإذا خُلَّتانا بالصَّبا يَسْرَانِ

لأدْنُو من بَيْضاء خَفَّاقة الحَشَا ... بُنَيَّة ذي قَاذُورة قَنَّان

كأنَّ وِشَاحَيْها إذا ما ارْتَدَتْهُمَا ... وقامَتْ عِنَانا مُهْرةٍ سَلِسان

يَعَضُّ بأبدان لها مُلْتَقاهما ... ومَتْناهما رِخْوان يضطربان

وتحتهما حِقْفَانِ قد ضَرَبَتْهُما ... قِطَارٌ من الجَوْزاء مُلْتَبِدان

أعَفْراءُ كم من زَفْرَةٍ قد أذَقْتِني ... وحُزْن أَلَجَّ العَيْنَ بالهَمَلان

وعَيْنان ما أوْفَيْتُ نَشْزا فتنظُرَا ... بمَآقِيهِما إلاَّ هما تَكِفَان

فلو أن عَيْني ذي هوى فاضَتَا دَمًا ... لفاضَتْ دَمًا عَيْناي تَبْتَدِران

فهل حادٍ يا عَفْراء إن خِفْتُ فَوْتَها ... عَلَيَّ إذا نادَيْتُ مُزْعَوِيَان

---

(١) العرة: الجرب، وقيل: قروح مثل القوباء تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها يسيل منها مثل الماء الأصفر فتكوى الصحاح لئلا يعديها المريض. ط

(٢) الصردان مثنى صرد وهو طائر أبقع ضخم الرأس يكون في الشجر نصفه أبيض ونصفه أسود ضخم المنقار له يرثن عظيم نحو من القارية في العظم ويقال له الأخطب لاختلاف لونيه. ط

(٣) اليرقان: دود يكون في الزرع ثم ينسلخ فيصير فراشا كما في «اللسان». وفي البيت الأقواء وهو اختلاف حركة الروى بالرفع والجر. ط

ضَرُوبان للتالي القَطُوف إذا وَنَى مُشِيحان من بَغْضائنا حَذِران
فما لكُما مِن حادِيَيْن رُمِيتُما بحُسْنى وطاعونٍ ألا تَسِقَانِ
وما لكما من حاديين كُسِيتُما سَرَابيل مُسْلاةً من القَطِران
فَوَيْلِي على عَفْراء وَيْلاً كأنه على الكَبْدِ والأحشاء حَدُّ سِنان
ألا حَبَّذَا مِن حُبِّ عَفْراء مُلْتَقَى نَعَمْ وألا لا حَيْثُ يَلْتَقِيان

قال أبو بكر أخبرني أبي عن الطُّوسي قال: أراد بقوله ملتقى نعم وألا لا شَفَتَيْها؛ لأن الكلمتين في الشفتين تلتقيان. ويروى:

ألا حبذا من حب عفراء ملتقى نَعامٍ وبِرْكٍ حيث يلتقيان

وقال: هما موضعان.

لَو أن أشَدَّ الناس وَجْدا ومثلَه من الجِنِّ بعد الإنس يلتقيان
فيشتكيان الوجد ثُمَّتَ أشتكي لأضعف وَجْدي فَوْقَ ما يَجِدان
فقد تَرَكَتْنِي ما أعِي لمحدّث حَدِيثًا وإن ناجَيْتُه ونَجَانِي
وقد تركتْ عفراءُ قلبي كأنه جَناحُ غُرابٍ دائمُ الخَفَقَان

[٣] [مبحث في معاني بعض الكلمات]:

قال أبو علي: قال أبو العباس ثعلب: سميت العترة عَتْرة من قولهم: اعْتَتَرَ الرجلُ إذا تَنَحَّى، وذلك أن الإمام يجعلها بين يديه إذا صلى ويقف دونها فتكون ناحية عنه. قال: وسميت الحَرْبة حَرْبة من قولهم: حَرَبْته إذا أحميته وأغضبته؛ لأنها حادّة ماضية. والعِترة: أقرب أهل الرجل إليه، ومنه عِتْرةُ رسول الله ﷺ، وهي من عَتْر الريح وهو حركتها واضطرابها. والعَتِيرة: الذبيحة التي كانت تُذْبَح في الجاهلية في رجب، وهي من الحركة والاضطراب؛ لأن الرجل كان يَنْذِر إذا كَثُر ماله أن يَذْبَح منه، وإذا كثر المال انتشر، والانتشار: والاضطراب. وسمي عَنْتَرة من ذلك لتَحَرُّكه في الحرب وتَصَرُّفه وأخذِه في كل وَجْه وناحية. وأنشد أبو العباس: [الطويل]

فإن تَشْرَبِ الأرْطَى دَمًا من صديقنا فلا بُدَّ أن تُسْقَى دِماءَكم النَّخْلُ

يقول: إن قتلتم صاحبنا في هذا الموضع الذي يُنْبِت الأرْطَى اغتيالاً لغَفْلته ووَحْدته، فإنّا لِعِزّنا نقصدكم طالبين بثأره جهارًا في بلادكم وأوطانكم.

قال وقول العامة: فلان قَرَابَة فلان مُحال، إنما كلام العرب: هذا قَرِيب فلان، وهؤلاء أقَارِبُ فلان وأقْرِباؤه، وقَرَاباتٌ ليس بشيء.

قال وقول ذي الرمة: [البسيط]

كأنهن خَوَافِي أجْدَلٍ قَرِمٍ وَلَّى لَيُنْبِقَه بالأمْعَزِ الخَرِبِ

ترتيبه: كأن الحُمُر بالأمعز خوافي أجدل قرم، والخوافي مستوية، والقوادم ليست

كذلك، فأراد أنه ليس يَفْضُل بعضُها بعضًا في العَدْوِ لجِدِّها ونجائها. وأنشد له أيضًا: [الطويل]

تَـظَـرْتُ إلـى أظـعـان مَـيٍّ كـأنـهـا ... ذُرَى الـنـخـل أو أثـلٌ تـمـيـل ذوائبُـه

فـأشـبـلَـتِ الـعـيـنانِ والـقـلـب كـاتـمٌ ... بـمُـغْـرَوْرِقٍ تَـمَّـتْ عـلـيـه سَـوَاكِـبُـه

هَـوَى آلِـفٍ حـان الـفـراقُ ولـم تَـجُـلْ ... مَـجَـاوِلَـهـا أسـرارُه ومَـغَـاتِـبُـه

إذا راجَـعـتْـك الـقـولُ مَـيَّـةُ أوبـدا ... لك الوجه منها أو نَضَا الدِّرْعَ سالبُه

فَـيـالَـك مِـنْ خَـدٍّ أسِـيـلٍ ومَـنْـطِـقٍ ... رَخِـيـم ومِـنْ وَجْـهٍ تَـعَـلَّـل جـاذِبُـه[1]

تَعَلَّل: من العَلَل وهو الشُّرب مرة بعد مرة، أي: نظرَ الناظرُ وأعاد نظرَه مرة بعد مرة فلم يجد عيبًا. وأشعَلَت[2] الدموعُ: كَثُرت فتفرّقت. وكتيبة مُشْعِلَة؛ أي: كثيرة متفرّقة. ويقال: أشعَل السلطانُ جماعةً في طلبه أي: فرّقهم.

قال: وأنشدنا ثعلب ليزيد بن الطَّثْرية. وقال الطَّثْرة: الخِصْب وكثرة الخير:

بـنـفـسـي مـن لا يَـسْـتَـقِـلُّ بـنـفـسـه ... ومَـنْ هُـوَ إن لـم يَـحْـفَـظِ اللّـه ضـائـع

قال: ويقال: فلان سَرَاب بِقِيعَة أي: لا يُحْصَل منه على شيء. وشَرَّابٌ بأنْقُع أي: حازم كامل.

قال: وسُمِّي اللِّصُّ لِصًّا؛ لأنه يَجْمَع نفسَه ويُضَامّ شخصَه ليستتر بذلك، وهو من قولهم: لَصِصْتُ أضراسَه إذا اجتمعت وتلاصقت. وقال امرؤ القيس يصف كلبًا: [المتقارب]

أَلَـصُّ الـضُّـروس خَـمِـيُّ الـضُّـلُـوع ... نَـبُـوعٌ طَـلُـوبٌ[3] نَـشِـيـطٌ أشِـرْ

قال: ويقال: السَّفِينة من سَفَنْته إذا قَشَرته كأنها تَقْشر الماء. والحُرَاقة: من قولهم هو يَحْرِقُ عليه الأُرُم وهي الأضراس. والزُّلَال: من قولهم زَلَّ يَزِلُّ. والطَّيَّار من قولهم الطَّيَرَان. والمَلَّاح: من المِلْح لشَظَف عيشِه وخشونة مَطْعَمه. والحَفَف: القيام بالأمر، حَفَفْتُهم: قام بأمرهم. ورفَدْتُهم: أطعمتهم، وهو يَحُفُّه ويَرْفُده أي: يطعمه ويقوم بأمره، فالحَفَف: أن يكون المأكل بإزاء آكله، والضَّفَف: أن يكون دونه. ضفتا الوادي والنهر: جانبا هما، فكأن الضفف ما يَكْفِي جانبًا من العيال والقوم ولا يَعُمُّهم، وأنشد لذي الرُّمَّة: [البسيط]

أذاكَ أم خـاضِـبٌ بـالـسَّـيِّ مَـرْتَـعُـه ... أبـو ثـلاثـيـن أمْـسَـى وهـو مُـنْـقَـلِـب

---

(١) انظر ما مضى قريبًا برقم (٣٠٧) من كتاب «الزيل» فقد ذكر شعر ذي الرُّمة.

(٢) من هنا أخذ المؤلف - رحمه الله - يأتي بما يسنح له من نوادر كلام العرب ولطائفهم ولا يتقيد بأن يكون له مناسبة بما قبله؛ فإن قوله هنا وأشعلت الدموع إلخ؛ لم يسبق له كلام فيه لفظ الاشتعال، وكذلك ما أنشده ليزيد بن الطثرية لم يتعلق بشيء قبل ولا بعد ولم يشرح منه شيئًا لظهور معناه؛ وكذلك قوله بعد: وسمي اللص لصا إلخ، وقوله يقال: السفينة من سفنته وهلم جرا؛ فليعلم. ط

نقول: وقد أخذ المصنف ذلك من كتابه «الأمالي»؛ إلّا قليلًا؛ فتنبه.

(٣) في رواية: أووب. ط

قال: أبو ثلاثين أي: أنه قد عَرَف ما يُصْلح البَيْض ويُفْسِده للتجربة، فلما أحس بالمطر أجَدَّ في طلب أُدْحِيِّه، وخصَّ الذكَر؛ لأنه أسرع من الأُنثى، وقال: أمسى لجِدِّه في اللحاق قبل الليل وهو منقلب؛ لأنه قد رَعَى فَنَفْسُه قَوِيَّة. والخَاضِبُ: الذي قد خَضَب في الربيع فهو أحسن لحاله. والنعام يبيض نحو العَشْر فما فوقها، فأراد بالثلاثين أنه قد حَضَن أبطنا.

وقال ثعلب في قول ذي الرمة: [الوافر]

أرى إبلي وكانت ذاتَ رَعْيٍ ... إذا وَرَدتْ يقال لها قُطِيعُ

تَكَنَّفها الأرامِلُ واليتامى ... فَصَاعوها ومِثْلُهُم بَصُوعُ

وطَيِّب عن كراكمهنَّ نفسي ... مَخَافةُ أن أرى حَسَبًا يَضِيعُ

أي: يُرْعَى من يملك مثلها. والقَطِيع: ما كَثُر. وصاعوها: فَرَّقُوها أي: أنه نَحَر وفَرَّق وأطعم. وانْصاع الطائرُ إذا مَرَّ. ويقال أيضًا صاع: جَمَع، ومنه الصاع. قال أبو الحسن: يروى غيره: ضاعوها معجمة الضاد.

قال: وأنشدنا أبو العباس، عن سلمة، عن الفرّاء: [الطويل]

من النَّفَر البِيض الذين إذا انْتَمَوْا ... وَهَبَ اللئامُ حَلْقَةَ البابِ قَعْقَعُوا

البيض: السادة الذين لا عيب فيهم يقعدون على أبواب الملوك بأحسابهم ومواضعهم وكِبَر أنفسهم وتَهَابها اللئام لخمولهم وقصر همتهم.

قال ويقال: جاء نَعِيُّ فلان بالتشديد إذا رفع الصوت بذكر وفاته، وأصله مِنْ نَعَى على الناقة حِمْلَها إذا رفعه عليها، ومنه نَعَى عليه ذنوبَه إذا ذَكَرها وأشاد بها. وقال أبو العباس في قول ابن أحمر: [الكامل]

ويَعِيرُهم ساجٍ بِجِرَّتِه ... لم يُؤْذِه غَرْبٌ ولا نَفْرُ

فإذا تَجِرُّ شَوْلُ بازِلُه ... وإذا أصاخ فإنه يَكِرُ

يريد أنهم في خَفْض وخِصْب وأمن وعز، فأموالهم راعية ساكنة. ويقول: وجهه لطَرَاوته وَجْهُ بَكْرٍ، وهو إذا بَدَتْ أسنانُه بازلٌ وذلك لحسن حاله. قال ويقال: قارَه يَقُوره إذا خَتَله، وهو يَقُور الوحْشَ أي: يَخْتِلها ليصيدها، ومنه قولهم: قَيَّرَه يُقَيِّره إذا خَتَله وخدعَه. ويقال: قَبَّح اللَّه ثَغْرَها وهو كناية عن الفَرْج أي: قبح اللَّه الموضعَ الذي خرجت منه. قال: والتَّغِرة بالتاء المعجمة اثنتين الرَّوْضة، والثَّغِرات: الرِّياض، قال الطِّرِمّاح: [الطويل]

لها ثَغِرات[1] تَحْتَها وقَصَارُها ... على مَشْرَةٍ لم تَعْتَلِق بالمَحاجِن

---

(١) قال الصاغاني في العباب ويقال: الثغرة من النبات ما لا تستمكن منه الراعية لصغره، قال الطرماح يصف أجلا: وهو القطيع من البقر:

لها ثغرات تحتها وقصارها ... على مشرة لم تعتلق بالمحاجن

قصارها: آخر أمرها الذي ترجع إليه. والمشرة: أطراف الغصون الطرية؛ كذا بهامش الأصل. ط

يصف ظبية في أَمَن. والمَشْرة. الهاء معجمة والميم مفتوحة.: الشجرة الكثيرة الورق. قال: والطرماح من طَرْمَح بابَه إذا رفعه أي: هو رفيع القدر. والطُّرْمِذَة: لفظة عربية، والطِّرْماذ: الفَرَس الرائع الكريم. قال: وسألت ابنَ الأعرابي عن الطُّرْمِذان وهو المتكثِّر بما لا يفعل، فقال: لا أعرفه وأعرف الطرْماذ، وأنشدني[1]: [الرجز]

سلام طِرْماذٍ على طِرْماذِ

وأنشدنا أبو العباس لبعض المُخَذَّلين: . هو أشجع السُّلَمي [مجزوء الرمل]:

ليس للعكر إلا ... من له وَجْهٌ وَقَاح
ولسانٌ طِرْمِذانٌ ... وغُدُوٌّ ورَوَاح
ولهم ما شئت عندي ... وعلى الأُلْه النجاح

[من أمثال وأقوال العرب]

وقال في قول الشاعر: [الرجز]

مخابِط المُكْم مَوَادِيع المَطِيّ ... التاركي الرفيق بالخَرْق البَطِيّ

أي: لا يَحُلُّون أزوادَهم ويأكلون أزوادَ الناس ولا يرحلون إلى الملوك. والخَرْق: الفلاة لانخراق الريح فيها. والبَطِيّ: البعيد. ويقال في مثل ذلك: «كيف يُقْطَعُ البَطِيّ بالبَطِيّ» والبَطِيّ: البعيد. والبَطِيّ: البعير البطيء، يضرب مثلاً للذي يروم عظائم الأمور بغير ماجدٌ ولا انكماش. قال أبو الحسن: حفظي مخابط بغير معجمة، والشعر لجميل بن معمر. قال أبو العباس ويقال: أصير إليك في غدٍ أو الذي يَلِيه. وقولُ الناس: أو الذي أليه خطأ، وإنما لم يقفوا على حق الكلمة. ويقال خَبيصة مُعْقِدة، وأعْقَدْت الخبيصةَ وغيرَها من الحلواء والدواء فهي مُعْقِدة، وأعْقَدْت العَسَل وعَقَدْت الحَبْل. قال أبو العباس: العَهْدة: أول مَطْرة. والرَّصْدة: الثانية، فتلك أوّل ما عَهِدَتِ الأرضُ، وهذه تَرْصُد تلك. ويقال: نحن نتنظر الرَّصْدة.

[النهار عند العرب]:

قال: والنهار عند العرب: من طلوع الشمس إلى غروبها، وما عدا ذلك فهو عندهم ليل مما تقدم[2] أو تأخر.

---

(١) قال في العباب وأنشد الليث:

لما رأيت القوم في أغلاذ ... وأنه السير إلى بغداذ
جئت فسلمت على معاذ ... تسليم ملاذ على ملاذ
طرمذة مني على طرماذ

كذا بهامش الأصل: وفي «القاموس» رجل طرمة بالكسر ومطرمذ: يقول ولا يفعل، أو لا يحقق في الأمور، وطرمذ عليه فهو طرماذ؛ وطرمذان بكسرهما: صلف مفاخر نفاج. وفيه الملاذ، المطرمذ المتصنع الذي لا تصح مودته، والملذ: الكذب. ط

(٢) في نسخة: وما تقدم ذلك وتأخر عنه قليل. ط

قال أبو العباس: والشاكلة: الطريقة، والشاكلة: الناحية، وشاكلة الجَدْي: خاصرتُه؛ لأنها ناحية منه.

قال: ورِغْوة[1] اللَّبَنِ بكسر الراء أفصح من فتحها. قال والوَصِيدُ: الفِناء. وأنشد أبو العباس: [الطويل]

ولما قَضَيْنا من مِنًى كُلَّ حاجة ومَسَّح بالأركان مَنْ هُو ماسحُ

أخَذْنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المَطِيِّ الأباطحُ

أطراف الأحاديث: ما يُسْتَطْرَف منها ويؤثر.

قال أبو العباس: جمع الحَلِيّ وهو يَبِيس النَّصِيّ أحْلِية، ولم يُسْمَع جمعُه[2] إلا في شعر ذي الرمة.

قال: والمُمَرَّد: الأملس، ومنه الأمرد للين خَدَّيه، وشجرة مَرْداء: لا ورق لها، ومرداء ومَلْساء واحد. ويقال زَلَلْت في المنطق، وزَلِلْت في المَشْي. وأزْلَلْت له زَلَّة، وأزللت إليه نِعْمة.

قال ويقال: أمْطَرَتِ السماءُ إذا قَطَرَتْ، ومَطَرَتْ: سالت. ويقال: كَلْمه فما أحَاكَ فيه، وضَرَبه فما أحاك فيه، وما يُحِيك فيه شيء، وهو أفصح من الفتح، وحَاكَ يَحِيك إذا ذهب وجاء، ومنه الحائك. ويقال: حَذَقَ الخَلُّ اللسانَ بحُذُوقه حُذُوقًا، وَحذَقَ الصبيُّ القرآنَ حَذْقًا، وحَذَقَ الحبلُ[3] إذا انقطع.

قال ويقال: رَدَحْت بَيْتَك إذا زدتَ فيه ووسَّعْتَه، ويقال: لو رَدَحْتَه أي لو وسَّعته.

قال والإفْضاء: الخروج من حر إلى برد أو من برد إلى حر، ويقال: لَوْقَدْ أفْضَيْتُ لخرجْتُ معك، وقد أفْضَى الناسُ، والناس حينئذ مُفْضُون، ومنه التَّفَضِّي.

ويقال: أحْوَلْنا في هذا المكان وأعْوَمْنا أيضًا وأسْنَهْنا وأشْهَرْنا وأيْوَمْنا وأسْوَطْنا.

ويقال: أطْلَى الرجلُ إذا مالت عُنقه للنوم، وأطْلَيْنا حتى أطْلَيْنا أي: قَعَدنا حتى نَعَسْنا. ومن أطال أطْلَى أي: من قَعَد نَعَس.

ويقال: أخلَد إلى الأمر أي: سَكَنَ إليه وأقام عليه. وخَلَدَ عليه شَبابُه أي: بقي عليه شبابه وسوادُ شَعَره. ووَجَرْتُه: من الوَجُور وهو أفصح. ومن الرمح أوْ جَرْتُه لا غير.

ويقال: أشَطَّ في سَوْمه أفصح من شَطَّ.

ويقال: ثَلَلْته: هَدَمْته، وأثْلَلْته: أصلحته.

---

(١) في «القاموس»: أنها مثلثة الراء. ط

(٢) لم نقف على الشعر الذي جمع فيه الحلي على أحلية ولينظر. ط

(٣) كذا في الأصل، ولعل حذق محرف عن انحذق إذ ليس في شيء من كتب اللغة التي بأيدينا أن حذق يأتي لازمًا، بل اللازم انحذق أو لعله مبني للمفعول. ط

ويقال: لَحَذْتُ: مِلْت، وألْحَذْتُ: جادَلْت.

ويقال: فَعَالٌ حَسَنٌ وفِعالٌ جميل بالفتح، والكسرُ خطأ. ويكسر الفاء في نصاب الفأس، يقال: هذا فِعَالٌ قَوِيٌّ أي: نِصَاب قوي.

والأحمس: المتشدّد في دينه، وسمّيت قريش الحُمْسَ من ذلك، ومنه سمّي المُحَمِّس الذي تقول له العامة: المُحمّص؛ لأنه يُقْلَى قَلْيًا شديدًا.

ويقال: لم يَبْقَ بيني وبينه عُلْقة ولا عَلاقة، فالعُلْقة: المرة، والعَلاقة: الحالة.

[٤] [الجارية تدرك ما لم يدركه الأصمعي]:

قال أبو محلم وقال الأصمعي: بينا أنا في طريق مكة ومعي أصحابي، إذ مَرَّ بنا أعرابي وهو يقول: من أحَسّ من بعير بفَنِقِه عِلاطٌ وبأنفه خُزامة، تَتْبعه بَكْرَتَانِ سَمْرَاوَان، عَهْدُ العاهد به عند البئر؟ قلنا: حَفِظَ اللّه عليك يا هذا، واللّه ما أحْسَسْنا جَملاً على هذه الصفة، قال: وجُوَيْرِيَةٌ من الأعراب على حَوْض لها تَصْدُرُه، فأعاد الكلام عليها، فقالت: أعْرُبْ لا حَفِظَ اللّه عليك يا فاسق، فقلنا لها: ما تريدين من رجل ينشُد ضالّتَه؟ فقالت: إنما ينشد أيْرَه وخُصْيَتَيْه.

[٥] [كتاب أبي محلم في وصية بصل]:

قال: وكَتَب أبو محلم إلى الحذّاء في نعل له عنده: دِنْها فإذا هَمَمْتَ تَتْدِين، فلا تُخَلِّها تَمْرَخِدُّ، وقبل أن تَقْفَعِلّ، فإذا ائْدَمَسَ المَتْنَان فامْسَحْها بخِرْقةٍ غير وَكِبَة ولا جَشِبَة، ثم امْعَسْها مَعْسًا رفيقًا، ثم سُنَّ شَفْرَتَك وأمْهِها، فإذا رأيت عليها مثل الهَبْوة فسُنَّ رأسَ الإزْمِيل، ثم سَمِّ باللّه وصلِّ على محمدٍ ﷺ، ثم أنْجِها وكَرْفِ جوانِبَها كَرْفًا رَقِيقًا، وأقْبِلْها بقِبَالَيْن أخْنَسَيْن أفْطَسَيْن غير خَلِطَيْن ولا أصْمَعَيْن، وليكونا وَثِيقَيْن من أدِيم صافي البشرة، غير نَمِشٍ ولا حَلِم ولا كَدِشٍ، واجعل في مُقَدَّمها كِمثقار النُّغَر. فلما وصل الكتاب إلى الحذّاء لم يفهم منه شيئًا إلا ولا كدش، فقال: صَيَّرَني كَذّاشا، واللّه لا حَذَوْت له نَعْلَه.

قال أبو علي قوله: تَتْدِنُ: تَبْتَلُّ، يقال: وَدَنْتُ الشيء فهو مَوْدُون ووَدِينٌ؛ أي: بَلَلْته فهو مَبْلول. والمَوْدُون من الناس وغيرهم: القصير الضاوي القَمِئ. وقوله: تَمْرَخِدُّ[1]، لم أجد تفسيره موضع رخد إذ جاء مهملاً للخليل ولا لغيره. والوَكَب: الوسخ، يقال: وَكِبَ الثوبُ يَوْكَب وَكَبًا إذا اتسخ، والوَكَبَانُ بفتح الواو والكاف: مِشْية في دَرَجان، ومنها اسم المَوْكِب. والجَشِب: الغليظ، والمِجْشاب: مثله. قال أبو زبيد: [البسيط]

تُولِيكَ كَشْحًا لطيفًا ليس مِجْشَابًا[2]

---

(١) قد وجدناه في ترجمة مرخد من «القاموس» و«اللسان» نقلاً عن ابن سيده بلفظ امرخد الشيء إذا استرخى؛ فليعلم. ط

(٢) صدره:

قراب حضنك لا بكر ولا نصف

كذا بهامش الأصل. ط

وطعام جَشِبٌ: ليس معه إدام. ويقال للرجل الذي لا يبالي ما أكل ولم ينل أدما: إنه لجَشِب المأكل، وقد جَشُب جُشُوبة. والمَعْس: الدَّلْك، يقال: مَعَسَ الأديمَ وغيره يَمْعَسُه مَعْسًا إذا دلكه، ومعس الرجلُ المرأةَ يَمْعَسها إذا نكحها. وقال الراجز في نعت السيل: [الرجز]

يَمْعَسُ بالسهلة الجرّاء معسا

ويقال: اقْفَعَلَّتْ أناملُه إذا تَشَنَّجتْ من بَرْد أو كِبَر، قال الشاعر:

رأيت الفتى يبْلَى إذا طال عُمْرُه ... يلي الشَّنُّ حتَّى تَقْفَعِلَّ أناملُهْ

ويقال: أمْهَيْتُ الحديدةَ إمهاء إذا حَدَدْتَها، وأمْهَيْتُها إذا سَخَّنتَها بالنار ثم ألقيتَها في الماء لتسقيها فهي مُمْهاة، قال امرؤ القيس في سهم الرامي: [المديد]

راشُه من ريشِ ناهضةٍ ... ثُمَّ أمْهاه على حَجَرِهْ

وأمْهَى شرابَه ولَبَّنَه إذا أرَقَّه، ولَبَنٌ مَهْوٌ وقد مَهَوَ اللَّبَنُ يَمْهُو مَهاوة. والإزْمِيلُ: الإشْفَى، قال عَبْدة بن الطَّبِيب: [البسيط]

عَيْهَمَةٌ يَلْتَجِي في الأرض مَلْبِسُها ... كما انْتَحى في أديم العُرْف إزْمِيلُ

ويقال: خرج فلان فَخَلَّف أزْمَلَه وأزْمُلَه بفتح الميم وضمها أي: أهلَه. والإزْمَوْلُ من الوعول: المُصَوِّت بكسر الهمزة وفتح الميم، ويقال: سَمِعْنا أزْمَلَ القوم أي: أصواتَهم، وجمعه أزامِل، قال هِمْيان بن قُحافة السَّعْدي: [الرجز]

تَسْمَعُ في أجوافِها لَجَاجِا ... أزامِلاً وزَجَلاً مُزَاجِا

وكَوْفُها: دورها بعدما تُنجيها، أي: تقصد نَحْوَ مثالها في تدويرها. وقال يعقوب: يقال: تَرَكْتُهم في كُوْفان بضم الكاف وسكون الواو أي: في أمر مستدير. وقال ابن الأعرابي يقال: بنو فلان في كَوْفانٍ مشدد الواو أي: في أمر مكروه شديد، وهذا قريب من الأول، كأنه لكراهيته تَحَيَّر أهلهُ فهم يستديرون. وقال الكلابيون: الخَلِط[1] من الرجال بفتح الخاء وكسر اللام بلا ياء هو الذي يختلط بالناس، وهو في وجهين: فأحدهما الذي يخالط الناس بما يُحِبُّون وهو مدح، وأما الآخر فهو الذي يُلْقِي متاعه ونساءه بين الناس فيخالطهم وهو عيب، فكأنه كره أن يكون قِبَالُ نعله مُلَفَّقا من أديمين وذلك محمود في نعال النساء مكروه في حذاء الرجال. وقوله: ولا أصْمَعَيْن أي: رقيقين. غير نَمِشٍ ولا حَلِم ولا كَلِش، والحَلَم بفتح الحاء واللام: دود يقع في الجلد فيأكله، فإذا دُبِغ وَقَى موضعُ الحلَم، فيقال: أديمٌ حَلِمٌ ونَبِلٌ، وأديم نَمِشٌ أيضًا، ومن ذلك يقال: نَمَش الجرادُ والدَّبا الأرضَ يَنْمِشها نَمْشا إذا أكل الكلأ ونزل. ويقال: ما به كَدَشَة بفتح الكاف وسكون الدال أي: ما به داء، والكُدَاش بتشديد الدال: الكُرِيُّ، والكَدْش بفتح الكاف وسكون الدال: الكَسب، يقال: كَدَشَ لأهله يَكْدِش

(١) في «القاموس» والخلط بالفتح ككتف وعنق: المتخلط بالناس المتملق إليهم ومن يلقي نساءه ومتاعه بين الناس. ط

كَدْشًا إذا اكتسب لهم، وما كَدَشْتُ شيئًا أي: ما أخذته، والكَدْش أيضًا: السَّوْق والحَثُّ.

●●●

[٦] قال أبو علي: قال أبو بكر بن أبي الأزهر أنشدنا أبو العباس المبرد لسعيد بن حميد: [الطويل]

تَمَتَّعْ من الدُّنْيَا فإنك فانـي ... وإنك في أيدي الحوادث عاني
ولا يأتِيَنْ يومٌ عليك وليلةٌ ... فتَخْلُوَ من شرب وعَزْفِ قِيان
فإني رأيت الدهر يلعب بالفتى ... ويَنْقُلُه حالين يَخْتَلِفان[1]
فأمَّا التي تَمْضِي فأحلام نائم ... وأما التي تَبْقَى له فأماني

[٧] [شيء من أخبار علي بن أبي طالب وأحاديث الشيعة]:

قال أبو علي: قال أبو بكر: حدثني أبي، عن العباس بن ميمون، قال: سمعت ابن عائشة يقول: حدثني أبي، عن عَوْف الأعرابي، قال: سأل رجل الحسنَ البصري عن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - فقال: أعن [illegible] هذه الأمة تسأل؟ لم يكن بالسُّرُوقةِ لمال الله، ولا بالمَلولةِ لحق الله، أعطى القرآن عزائمه فيما عليه وله، حتى أورده الله على رياضٍ مونِقة، وجنانٍ مُمِيقة، ذاك علي بن أبي طالب [illegible].

[٨] قال: وحدثني أبي، عن [illegible]: حدثني سليمان الشاذكوني والحسن بن عَنْبَسة الوَرَّاق قال: حدثنا حَفص بن غِيَاث، عن أشعث بن سَوَّار قال: نال عِديُّ بن أَرْطاةَ على المنبر من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قال: فالتفتُّ إلى الحسن وإن دموعه لتسيل على خده ولحيته، فقال: لقد ذكر هذا اليوم رجلاً إنَّه لَوَلِيُّ رسول الله في الدنيا ووليه في الآخرة[2].

[٩] قال: وحدثني أبو بكر، عن أبيه، عن العباس بن ميمون، قال: حدثني سليمان بن داود، عن حماد بن زيد، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، قال: إن كان أحد يَعْلَم مَتَى أجلهُ، فإن علي بن أبي طالب كان يعلم متى أجله، قال العباس: فحدثت به ابن عائشة، فقال: أنت تعلم يا بن أخي أنه قاتل يوم الجَمل فلم يتكلم، ويوم صِفِّينَ فلم يتكلم، ولقد لَقِي لَيلةَ الهَرير ما لَقي فلم يتخوف ولم ينطق بشيء، فلما رجع إلى الكوفة بعد قتله الخوارج قال: ألاَ ينبعث أشقاها ليخضِبَنَّ[3] هذه من هذه[4].

---

(١) في نسخة: وتنقله حالان مختلفان. ط

(٢) كذا بالأصل، ولا محل للتوكيد بالنون إلا أن تكون اللام للقسم. ط

(٣) أخرج أحمد (١/ ٣٣١) وابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٥١) والحاكم (٣/ ١٣٥) قول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه «أنت وليي في الدنيا والآخرة».

(٤) قول علي أخرجه أحمد (١/ ١٣٠) وابن أبي شيبة (١٤/ ٥٩٦، ٥٩٧) وابن عساكر (٣/ ٣٤٢، ٣٤٦) =

[١٠] [كلام علي بن أبي طالب عن الإيمان، واليقين، والزهد، والعدل، وشرائع الحكم، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقصد في الحب والبغض للصديق]:

قال: وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن عثمان، قال: حدثنا منجاب بن الحارث، قال: أخبرنا بشر بن عمارة، عن محمد بن سوقه؛ قال: أتى عليًا - رضي الله تعالى عنه - رجل فقال: يا أمير المؤمنين، ما الإيمان؟ أو قال: كيف الإيمان؟ فقال: الإيمان على أربع دَعَائم: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد. والصبر على أربع شُعَب: على الشوق، والشَّفَق، والزُّهَادة، والتَّرقُّب. فمن اشتاق إلى الجنة سَلاَ عن الشهوات، ومن أشفق من النار رَجع عن المُحرَّمات، ومن زَهِد في الدُّنيا تَهَاوَنَ بالمصيبات. واليقين على أربع شُعَب: على تَبْصِرة الفِطْنة، وتأويل الحِكْمة، ومَوْعِظة العِبْرة، وسُنَّة الأولين. فمن تَبَصَّر الفطنةَ تأوَّل الحكمَة، ومن تأوَّل الحكمة عَرَفَ العِبْرة، ومن عرف العِبرة فكأنما كان في الأولين. والعدل على أربع شعب: على غامض الفَهم، وزَهْرة الحِلْم، ورَوْضة العِلْم، وشرائع الحُكْم. فمن فَهِم فَسَّر جميع العلم، ومن عَلِم عرف شرائع الحكم، ومن حَلُم لم يَفْرُطْ أمرُه وعاش في الناس. والجهاد على أربع شُعَب: على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصِّدق في المواطن، وشَنآن للفاسقين. فمن أمر بالمعروف شَدَّ ظَهْرَ المُؤمن، ومن نَهَى عن المنكر أرْغَمَ أنفَ المنافق، ومن صَدَق في المواطن فقد قضى الذي عليه، ومن شَنِئ الفاسقين فقد غَضِب لله، ومن غَضِب لله غَضِب الله له. قال: فقام الرجل فَقَبَّل رأسه، فقال على كرم الله وجهه: أحبِبْ حَبيبك هَوْنًا مَا عَسَى أن يكون بَغِيضَك يَوْمًا ما، وأبْغِض بَغِيضَك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما[1].

[١١] [وفاة الحجاج وما قال وقيل له عند ذلك من مواعظ، وعاقبة الظالمين]:

قال: وحدثني أبو بكر، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أحمد بن عُبَيد في أخبار الحجاج بن يوسف: أنه لما حضرته الوفاة وَأيْقَن بالمَوْت، قال: أسْنِدُوني، وأذِنَ للناس فَدَخَلوا عليه، فَذَكَر الموتَ وكَرْبَه، واللَّحْدَ ووَحْشَته، والدنيا وزوالَها، والآخرةَ وأهوالها، وكثرة ذنوبه، وأنشأ يقول: [الخفيف]

إن ذنبي وَزْنُ السَّموات والأرض ... وظَنِّي بخالقي أن يُحابي

فلئن مَنَّ بالرضا فهو ظَنِّي ... ولئن مَرَّ بالكتاب عذابي

= ترجمة علي بن أبي طالب تحقيق المحمودي. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٣٦ - ١٣٧). وساق له شواهد كثيرة فانظرها.

(١) أخرج آخره الطبري في «تهذيب الآثار» (٤٣ - مسند علي) رفعه ورواه موقوفًا (٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢) وروي عن أبي هريرة مرفوعًا عند الترمذي (١٩٩٧) والطبري في «التهذيب» (٤٤٣).

خضخ لم يكن ذلك منه ظُلْمًا وهل يَظْلِمُ رَبٌّ يُرْجَى لِحُسْنِ المَآب[1]

ثم بكى وبكى جلساؤه، ثم أمر الكاتبَ أن يكتب إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان: أما بعد، فقد كنتُ أرْعَى غَنَمَك أحُوطها حِياطَة الناصح الشَّفِيق برَعِيَّة مولاه، فجاء الأسدُ فَبَطَش بالراعي ومَزَّقَ المَرْعِيَّ كلَّ مُمزَّق، وقد نَزَل بمولاك ما نزل بأيُّوبَ الصابر، وأرجو أن يكون الجَبَّار أراد بعبده غفرانًا لخطاياه وتكفيرًا لما حَمَل من ذنوبه، ثم كتب في آخر الكتاب: [الطويل]

إذا ما لَقِيتُ اللّٰه عَنِّيَ راضيًا ... فإنْ شِفاء النفس فيما هُنالِك

فَحَسْبي بِقاءُ اللّٰه من كلِّ مَيِّتٍ ... وحسبي حَياةُ اللّٰه من كل هالك

لقد ذاق هذا الموتَ مَنْ كان قبلنا ... ونحن نذوق الموتَ من بَعْدِ ذلك

فإن مُتُّ فاذْكُرْني بذكر مُحَبَّب ... فقد كان جَمًّا في رِضاك مَسالِكي

وإلا فَنِعْمَ دُبْرُ الصلاة بدعوة ... يُلَقَّى بها المسجونُ في نار مالك

عليك سلام اللّٰه حَيًّا ومَيِّتًا ... ومن بَعْدِ ما تُحْيَا عتيقًا لمالك

ثم دخل عليه أبو المُنْذِر يَعْلَى بن مَخْلَد المُكَاشِي وقال: كيف تَرَى ما بك يا حجاج من غَمَرات الموت وسَكَراته؟ فقال: يا يعلى [illegible] وجَهْدًا جَهيدًا، وألَمًا مَضِيضًا، ونَزْعًا جَريضًا، وسَفَرًا طويلًا، وزادًا [illegible] يرحمني الجَبَّار، فقال له: يا حجاج، إنما يرحم اللّٰه من عباده الرُّحَماء الكرَماءَ أولي الرحمة والرأفة والتَّحَنُّن والتعطُّف على عباده وخلقه، أشهد أنك قَرين فرعون وهامانَ لسُوء سيرتك، وتَرْك مِلَّتك، وتَنَكُّبك عن قَصْدِ الحق وسَنَن المَحَجَّة وآثار الصالحين. قَتَلْتَ صالحي الناس فأفنيتهم، وأبَرْتَ[2] عِتْرة التابعين فتَبَّرْتهم، وأطَعْتَ المخلوقَ في معصية الخالق، وهَرَقْتَ الدماء، وضَرَبْتَ الأبشار، وهتَكْتَ الأستار، وسُسْتَ سياسةَ متكبِّر جَبَّار، لا الدِّينَ أبْقَيْتَ، ولا الدنيا أدركت، أعْزَزْتَ بني مَرْوان، وأذْلَلْتَ نفسَك، وعَمَرْتَ دُورَهم وأخربتَ دارَك، فاليوم لا يُنجُونك ولا يُغِيثونك، إذ لم يكن لك في هذا اليوم ولا لما بعده نظَر، لقد كُنْتَ لهذه الأمة اهتمامًا واغتمامًا وعناءً وبلاءً، فالحمد للّٰه الذي أراحها بموتك، وأعطاها مُناها بجَزْيك. قال: فكأنما قُطِع لسانُه عنه فلم يُحِرْ جوابًا وتَنَفَّس الصُّعَداء وخَنَقَتْه العَبْرة، ثم رفع رأسه فنظر إليه وأنشأ يقول: [الخفيف]

رَبِّ إن العِبادَ قد أيَأسُوني ... ورَجائي لكَ الغَداةَ عظيمُ

[١٢][صيغة صلاة على النبي ﷺ منسوبة إلى علي]:

قال: وحدثنا أبو بكر بن دريد، قال: حدثنا الحسن بن خضر، عن أبيه، عن بعض ولد علي - رضي اللّٰه تعالى عنه - قال: كان عَلِيٌّ يُعَلِّم أصحابَه الصلاةَ على النبي ﷺ ويقول:

---

(١) في رواية: ليوم الحساب بدل قوله: لحسن المآب. ط

(٢) أبرت: أهلكت وهو من أبرت الكلب إذا أطعمته الأبرة في الخبز. ط

اللهم داحِيَ المَدْحُوّات، وبارئ المسموكات، وجبار القلوب على فِطْرتها، شَقِيِّها وسَعِيدِها، اجعل شَرَائف صَلَواتِك ونَوَامِيَ بَرَكاتك، ورأفة تَحَنُّنِك على محمد عبدك ورسولك، الخاتِم لما سَبَق، والفاتح لما أُغْلِق، والمُعْلِن الحَقَّ بالحق، والدّامِغ لجَيْشات الأباطيل كما حُمِّل، فاضْطَلَع بأمرك بطاعتك، مُسْتَوْفِزا في مَرْضاتك، بغير نَكَل في قَدَم، ولا وَهْي في عَزْم، واعِيًا لوَحْيك، حافظًا لعَهْدِك، ماضِيًا على نَفاذ أمرك، حَتَّى أورَى قَبَسًا لقابِس، ألاءُ اللّه تَصِلُ بأهله أسْبابه، به هُدِيَتِ القلوبُ بعد خَوْضات الفِتَن، ووَضَحَتْ أعلامُ الإسلام ومُنيرات الأحكام، فهو أمِينك المأمون، وخازن عِلْمِك المخزون، وشَهِيدُك يومَ الدين، وبَعِيثُك نِعْمَه، ورَسُولُك بالحق رَحْمه، اللهم افْسَحْ له في عَدْنِك مُنْفَسَحا، واجْزِه مُضَاعَفاتِ الخير من فَضْلك، مُهَنَّآتٍ غيرَ مُكَدَّرات، مِنْ فَوْز ثَوَابِك المَجْزول، وجَزيل عطائك المَعْلول. اللّهم أعْلِ على بناء الناس بناءه، وأكْرِمْ لَدَيْك مَثْواه، وأتْمِم له نوره، واجزه من ابْتِعاثِك له، مَقْبولَ الشهادة، ومَرْضِيَّ المقالة، ذا مَنْطِق عَدْلٍ، وخُطَّةِ فَصْل، وبُرْهانٍ عظيم.

[١٣] [معنى قوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»]:

قال: وحدثنا أبو عمر، قال: أخبرنا الغَطَفاني، عن رجاله قال: سئل أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي - رضي الله عنهم - عن قول رسول الله ﷺ: «لا يَزْنِي الزاني حين يزني وهو مؤمن»[1]. قال: فأدار دارةً كبيرة، وأدار في وَسَطها دارة صغيرة، وقال: الكبيرة هي الإسلام والصغيرة هي الإيمان، فإذا زنى خرج في ذلك الوقت من الإيمان إلى الإسلام فإن كفر خرج من الدارة الكبيرة إلى الشرك والكفر والعياذ بالله.

[١٤] [قول علي في أشد جنود الله]:

وقرأنا على أبي الحسن، قال: قال أبو محلم: حدثني وكيع بن الجراح وأبو نعيم قالا: حدثنا زكريا بن أبي زائدة، عن الشعبي؛ قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «[2] أشدُّ جنودِ ربِّك عَشَرةٌ: الجبالُ الرَّواسي، والحَديد يَقْطَع الجبالَ، والنار تُذِيب الحديدَ، والماءُ يطفئ النار، والسحابُ المسخَّر بين السماء والأرض يَحْمل الماء، والريح تقطع السحابَ، وابنُ آدم يَغْلِبُ الريح يستتر بالثوب أو الشيء ويمضي لحاجته، والسُّكْرُ يغلبُ ابن آدم، والنومُ يغلب السكرَ، والهمُّ يغلب النوم. فأشدُّ خلق الله عز وجل الهمُّ.

[١٥] [حديث الشجاء الخارجية مع زياد]:

قال أبو محلم: أخبرني معتمر بن سليمان التيمي؛ قال: لما جيء بالشَّجاء - وكانت امرأة من الخوارج - إلى زياد، قال لها: ما تقولين في أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه؟

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) وأبو داود (٤٦٨٩) والترمذي (٢٦٢٥) والنسائي (٨/ ٦٥) وابن ماجه (٣٩٣٦) وأحمد (٢٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٤) والترمذي (٣٣٦٩) وأبو الشيخ في العظمة (٨٧٢) من أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا إلى ابن آدم. ط

قالت: ماذا أقول في رجل أنت خَطِيئةٌ من خطاياه! فقال بعض جلسائه: أيها الأمير، أحرقها بالنار، وقال بعضهم: اقطع يديها ورجليها، وقال بعضهم: اسْمُلْ عينيها. فَضَحِكتْ حتى استلْقَتْ وقالت: عليكم لعنة اللّه! فقال لها زياد: مِمَّ تضحكين؟ قالت: كان جلساء فرعون خيرًا من هؤلاء. قال لها: ولِم؟ قالت: استشارهم في موسى فقالوا أرْجِهْ وأخاه، وهؤلاء يقولون: اقطع يديها ورجليها واقتلها، فَضَحِك منها وخَلَّى سبيلَها.

●●●

[١٦] قال: وقال حدثنا أبو محلم، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: قال الحجاج بن يوسف لعلي بن الحسين - رضي اللّه عنهما -: أنتم كنتم أكرَم عند شيخكم من آل الزُّبَيْر عند شيخهم، قال عمرو: وذاك أنه لم يَشْهَد الطَّفَّ أحدٌ من بني هاشم أطاقت يدُه حَمْلَ حديدة إلا قُتِل قَتْلَ الحُسَين، وقَتَلَ الحجّاجُ عبدَ اللّه بن الزبير وطاف من العَشِيّ بين عَبَّاد وعامر ابني عبد اللّه واضعًا يديه عليهما.

[١٧] قال أبو علي: وحدثنا أبو الحسن جَحْظَة قال: قال الشَّعبي: ما لَقِينا مِنْ عَلِيٍّ رضي اللّه عنه! إن أحببناه قُتِلْنا، وإن أبغضناه كفَرْنا!

[١٨] قال: وحدثنا أبو بكر بن أبي الأزهر، قال: حدثنا الزبير قال: أخبرنا ابن ميمون، عن ابن مالك، قال: قال ابن هَرْمة: [المتقارب]

مَهْمَا ألام على حُبِّهم ... فإنّي أُحِبُّ بَنِيَّ فاطمة

بَنِي بِنْتِ مَنْ جاء بالمُحكمات ... والدِّين والسُّنَن القائمة

فلقيه بعد ذلك رجل فسأله: من قائلُها؟ فقال: من غَضَّ بِبَظْرِ أُمه، فقال له ابنه: يا أبتِ، ألَسْتَ قائلَها؟ قال: بَلَى، قال: فَلِمَ تَشْتُمُ نفسك؟ قال: أليس الرجلُ يَغَضُّ بَظرَ أمه خيرًا له من أن يأخذه ابن قَحْطَبَة.

[١٩] [رواية في بيعة معاوية لابنه يزيد]:

قال: وأخبرنا محمد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثنا أبو زيد عُمَر بن شبة، قال: حدثنا سَعِيد بن عامر الضبعي، عن جويرية بن أسماء، قال: لما أراد معاويةُ البَيْعةَ ليزيدَ ولده، كتب إلى مَرْوانَ وهو عامله على المدينة، فقرأ كتابه وقال: إن أمير المؤمنين قد كَبِر سِنُّه ورَقَّ عَظْمُه، وقد خاف أن يأتيه أمرُ اللّه فيدَعَ الناس كالغنم لا راعي لها، وقد أحب أن يُعْلِم عَلَمًا ويُقِيم إمامًا. فقالوا: وَفَّق اللّه أميرَ المؤمنين وسَدَّده ليفعل. فكتب بذلك إلى معاوية، فكتب إليه: أن سَمِّ يزيدَ. قال: فقرأ الكتاب عليهم وسمى يزيد، فقام عبد الرحمن بن أبي بكر رضي اللّه عنهما فقال: كَذَبْتَ واللّه يا مروان وكَذَب معاويةُ معك! لا يكون ذلك! لا تُحْدِثوا علينا سُنَّة الروم! كلما مات هِرَقْلٌ قام مكانه هِرَقْل! فقال مروان: إن هذا الذي قال لوالديه: أفٍّ لَكُما أتَعِدَانني أن أُخْرَج، قال: فسمعتْ ذلك عائشة - رضي اللّه تعالى عنها - فقالت: ألابْنِ الصِّدِّيق يقول هذا! اسْتُرُوني، فستَروها فقالت: كذَبْتَ واللّه يا

مروان، إنَّ ذلك لَرَجُلٌ معروف نَسَبُه. قال: فكتب بذلك مروانُ إلى معاوية، فأقبل، فلما دنا من المدينة استقبله أهلها فيهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر رضوان الله عليهم أجميعن، فأقبل على عبدِ الرحمن بن أبي بكر فَسبَّه وقال: لا مَرْحَبًا بك ولا أهلا، فلما دخل الحسين عليه قال لا مرحبًا بك ولا أهلا، بَدَنَةٌ يترقرقُ دمُها واللَّه مُهَرِيقُه. فلما دخل ابن الزبير قال: لا مرحبًا بك ولا أهلا، ضَبٌّ تَلْعةٍ مُدْخِلٌ رأسه تحت ذَنَبه. فلما دخل عبد الله بن عمر قال: لا مرحبًا بك ولا أهلا وسبَّه، فقال: إني لست بأهل لهذه المقالة، قال: بلى ولما هو شرٌّ منها. قال: فدخل معاوية المدينةَ وأقامَ بها، وخرج هؤلاء الرهطُ معتمرين، فلما كان وقتُ الحج خرج معاوية حاجًا، فأقبل بعضُهم على بعض، فقالوا: لَعَلَّه قد نَدِم، فأقبلوا يستقبلونه. قال: فلما دخل ابن عمر قال: مرحبًا بك وأهلا يابنَ الفاروق، هاتوا لأبي عبد الرحمن دابّة. وقال لابن أبي بكر: مرحبًا يابن الصِّدِّيق، هاتوا له دابة. وقال لابن الزُّبَير: مرحبًا بابن حَوَاري رسول الله، هاتوا له دابة. وقال للحسين: مرحبًا بابن رسول الله هاتوا له دابة. وجعلتْ ألطافُه تدْخُل عليهم ظاهرةً يراها الناس ويُحْسِن إذْنَهم وشفاعَتَهم. قال: ثم أرسل إليهم فقال بعضُهم لبعض: مَنْ يُكَلِّمُه؟ فأقبلوا على الحسين فأبَى، فقالوا لابن الزبير: هات فأنت صاحبُنا. قال: على أن تعطوني عهدَ الله ألاَّ أقولَ شيئًا إلاَّ تابعتموني عليه. قال: فأخذ عهودهم رَجُلاً رجلا ورَضِي من ابن عمر بدون ما رضي به من صاحبيه. قال: فدخلوا عليه فدعاهم إلى بَيْعَة يزيدَ، فسكتوا. فقال: أجيبوني، فسكتوا. فقال: أجيبوني، فسكتوا. فقال لابن الزبير: هات فأنت صاحبهم. قال: اخْتَرْ مِنَّا خَصْلةً من ثلاث. قال: إن في ثلاث لَمَخْرجا. قال: إما أن تفعل كما فعل رسول الله ﷺ. قال: ماذا فعل؟ قال: لم يستخلف أحدًا. قال: وماذا؟ قال: أو تفعل كما فعل أبو بكر. قال: فعل ماذا؟ قال: نظر إلى رجل من عُرْضِ قريش فَوَلاَّه. قال: وماذا؟ قال: أو تفعل كما فعل عمر بن الخطاب. قال: فعل ماذا؟ قال: جعلها شُورى في ستة من قريش. قال: ألا تسمعون! إنِّي قد عوَّدْتُكم على نفسي عادةً وإني أكره أن أمنعكموها قبل أن أُبيِّن لكم، إن كنت لا أزال أتكلم بالكلام فتعترضون عليَّ فيه وتردّون عليّ، وإنّي قائم فقائل مقالة، فإياكم أن تعترضوا حتى أتِمَّها، فإن صَدَقْتُ فَعَلَيَّ صدقي، وإن كذبت فعلي كذبي. واللَّه لا ينطق أحد منكم في مقالتي إلا ضربت عنقه. ثم وَكَّل بكلِّ رجل من القوم رجلين يَحْفَظانه لئلا يتكلم، وقام خطيبًا فقال: إن عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر قد بَايَعُوا فبايِعُوا. فانْجَفَل الناسُ عليه يبايعونه، حتى إذا فرغ من البيعة ركب نجائبَه فَرَمَى إلى الشام وتركهم. فأقبل الناس على الرهط يلومونهم، فقالوا: واللَّه ما بايَعْنَا، ولكن فَعَل بنا وفَعَل[1].

[٢٠] وحدثنا إسحاق قال: كان أشعَب إذا حَدَّث عن عبد الله بن عمر يقول: قال

(١) انظر: «العواصم من القواصم» لابن العربي (٢/ ٤٤٠ - ٤٤٧).

حبيبي عبد الله، وكان يُبْغِضني في الله. قال إسحاق: قال ابن أبي عتيق رضي الله تعالى عنهما: دخلت على أشعبَ يومًا وعنده متاع حسن وأثاث، فقلت: أما تستحي أن تطلب من الناس وعندك مثل هذا؟ فقال: يا فُدَيْكَ مَهْيِ مِنْ لُطْف المسألة مالا تَطِيبُ نفسي بتركه. وكان يقول: أنا أطْمَع وأُمّي تَتَيَقَّن، فإذا اجتمع طَمَعي ويَقِينُ أُمّي فقَلَّ ما يُفْلِتُنا.

[٢١] [بين المنذر بن النعمان وعامر بن جوين]:

مجلس: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد، قال: أخبرني عمي، عن أبيه، عن ابن الكَلْبي، عن أبيه. قال: وَفَد عامر بن جُوَيْن الطائي على المنذر بن النعمان الأكبر جد النعمان بن المنذر، وذلك بعد انقضاء مُلْك كِنْدَةَ ورجوع الملك إلى لَخْم، وكان عامر قد أجار امرأ القيس بن حُجْر أيام كان مقيمًا بالجبلين وقال كلمته التي يقول فيها: [الطويل]

هنالكَ[1] لا أُعْطِي مليكًا ظُلامةً ولا سُوقةً حتى يَشُوبَ ابْنُ مَنْدَلَهْ

وكان المنذر ضَغِنًا عليه، فلما دخل عليه قال له: يا عام، لَسَاء مَثْوًى أثْوَيْتَه رَبْك وثَوِيْتَ حين حاولْتَ إصباء ظَلْتِه ومخالَفته إلى غَيِّه، فوالله لو كنتَ كريمًا لأثْوَيْتَه مُكَرَّمًا مُوَقَّرًا ولَجَانَبْته مُسْلِمًا. فقال له: أبَيْتَ اللَّعْنَ، لقد عَلِمَتْ أبناءُ مَعَدّ أني لأعَزُّها جارًا، وأكرَمُها جوارًا، وأمْنَعُها دارًا، ولقد أقام وافرًا، وزال شاكرًا. فقال له المنذر: يا عام، وإنك لَتَخالُ مُهَضَّبات أجَأ ذاتَ الوِبَار، وأقْنِيات سَلْمَى ذات الأَهْضَام من الحَجْر الجَرَّار، ذي العَدَد الكُثَّار، والحُصُن والمِهَار، والرِّماح الجِرَار، وكلّ ماضي الغِرَار، بِيَدِ كلّ مِسْعَرٍ كَرِيم النِّجَار. قال له عامر: أبيت اللعن، إنَّ بين تلك الهَضَبات والرُّعان، والشِّعاب والمُصْدَان، لَفِتْيانا أبطالا، وكهولاً أزْوالا: يَضْرِبون الفَوَارِس، ويستنزلون الفوارس، بالرِّماح المَذَاعِس، لم يَتْبَعوا الرِّعاء، ولم تُرَشِّحهم الإماء، فقال الملك: يا عام، لو قد تَجاوَبَتِ الخيلُ في تلك الشِّعَاب صَهِيلا، وكانت الأصوات قَعْقَعةً وصَلِيلا، وثُغِرَ المَوْت، وأعْجَزَ الفوت، فَتَقَارَشَتِ الرِّماح، وحَمِي السِّلاح، لَنَسائي قَوْمَك كأسا لا صَحْوَ بعدها. فقال: مَهْلا أبيت اللعن، إن شَرَابَنا وَبِيل، وحَدَّنا أَلِيل، ومَعْجَمَنا صَلِيب، ولقاءنا مهيب، فقال له: يا عام، إنّه لقليلٌ بقاء الصَّخْرة الصَّمّاء على وَقْع المَلاطِيس. فقال: أبيت اللعن، إن صفَاتَنا جِبْرُ المراديس. فقال: لأوقظَنَّ قَوْمك من سِنَة الغَفْلة، ثم لأُعْقِبَنَّهم بعدها رَقْدَة لا يَهُبُّ رائدُها، ولا يَسْتَيقظ هاجدُها. فقال له عامر: إن البَغْي أبادَ عَمْرا، وصرَع حُجْرا، وكان أعَزَّ منكَ سلطانًا، وأعظم شانا، وإن لَقِيتَنا لم تَلْقَ أنكاسًا ولا أحْسَاسًا، فَهَيِّئْ وضَائِعَك وصنائعك وهَلُمَّ إذا بدا لك فَنَحْن الأُلَى قَسَطُوا على الأملاك قِبْلَك، ثم أتى راحلتَه فركبها وأنشأ يقول هذه الأبيات: [الطويل]

تَعَلَّمْ أبيتَ اللَّعْنَ أنَّ قَنَاتَنا تَزِيدُ على عَنْزِ الثِّقَاف تَصَعُّبَا

---

(١) الذي في مادة ندل من «اللسان»:

وآليت لا أعطي مليكًا مقادتي ولا سوقه حتى يشوب ابن مندله ط

أتوعِدُنا بالحرب أمُّكَ هابِلُ ... رُوَيْدَكَ بَزَّا لا أبا لكَ خُلَّبَا
إذا خُطِرَتْ دُونِي جَدِيلةُ بالقَنَا ... وحامتْ رجالُ الغَوْثِ دوني تَحَدَّبا
أبيْتُ التي تَهْوَى وأعْطَيْتُكَ التي ... تُسُوق إليك الموت أخْرَجَ أكْهبَا
فإن شئت أن تَزْدَارَنا فأتِ تَعْتَرِفْ ... رجالا يُذِيلُون الحَدِيدَ المُعَقَّرِيَا
وإنك لو أبصرتَهم في مجالهم ... رأيت لهم جَمْعا كَثِيفًا وكَوْكَبا
وذَكَّرَكَ العَيْشَ الرَّخِيَّ جلادُهم ... وملْهَى بأكناف السَّبِير ومَشْرَبا
فأغْضِ على غَيْظٍ ولا تَرُمِ التي ... تُحكِّم فيك الرَّاعِبِيُّ المُحَرَّبا

[٢٢] [بين عمر بن الخطاب ومتمم بن نويرة]:

قال أبو علي: وأخبرنا أبو عثمان، قال: أخبرني التَّوَّزِي، عن أبي عُبَيدة، قال: قَدِم مُتَمِّم بن نُوَيْرة على عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - وكان به مُعْجَبا: فقال يا مُتَمِّم، ما يَمْنَعُك من التزويج لَعَلَّ الله أن يَنْشُرَ منك ولدًا، فإنكم أهل بَيْتٍ قد دَوَجْتُم، فتَزَوَّجَ امرأة من أهل المدينة فلم تَحْظ عنده ولم يَحْظَ عندها، فطلقها، فقال: [الطويل]

أقول لهند حِينَ لم أرْضَ عَقْلَها ... أهِنْدُ دَلالُ العِشْقِ أم أنْتِ فارِكُ
أم العَزْمُ ما تَهْوَيْنَ فكلُّ مفارِقٍ ... عَلِيٌّ يَصِيرُ بعد ما بان مالك

فقال له عمر: ما تَنْفَكُّ تذكرِ مالكا على كل حال، فلم يمض لهذا الأمر إلا قليل حتى طُعِنَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورحمه، ومتمم بالمدينة. فقال يرثي عمرَ رضي الله عنه: [البسيط]

يَسْأَلُنِي ابن بُجَيْر أين أبْكُرُه ... عَنِّي فإنَّ فؤادي عنك مشغول
هلَّا بيوم أبي حفصٍ ومَصْرَعِه ... إن بُغَاءك ما ضَيَّعْتَ تَضْلِيل
إنَّ الرَّزِيئَةَ فابْكِه ولا تَسَمَنْ ... عِبْءٌ تُطِيف به الأنصار محمول

[٢٣] قال أبو علي: وأخبرنا أبو عثمان، قال: أخبرني التوزي، عن أبي عبيدة، قال: كان مُرَّة بن مَحْكَان جَوادا، قال أبو بكر بن دريد: أحسبه عَنَزِيًّا فَحَمل حَمَالاتٍ فعَجَز عنها، فحبسه عبيدُ الله بن زياد، فقال الأبيرد في ذلك: [الطويل]

أبْلِغ عُبَيْدَ اللَّه عني رِسالةً ... رسالة قاضٍ بالفرائض عالم
فإن أنت عاقبتَ ابْنَ مَحْكَانَ في النَّدى ... فَعَاقِبْ هداك اللَّه أعْظَمَ حاتم
حَبَسْتَ كريمًا أن يَجُود بماله ... سَعَى في ثَأيٍ في قومه مُتَفَاقِم
كأنَّ دماءَ القوم إذ عَلِقَتْ به ... على مُكْفَهِرٍّ من ثَنايا المَخَارِم

(١) وأخرجه أبو الفرج الأصبهاني في كتاب «الأغاني» (١٦/ ٥٦٥٥ - ٥٦٥٦).

[٢٤] [حديث الشيظم الغساني]:

قال أبو بكر: أخبرني عمي، عن أبيه، عن ابن الكلبي، عن أبيه؛ قال: قَتَل الشَّيْظَمُ بن الحارث الغَسَّاني رجُلاً من قومه، وكان المقتول ذا أُسْرة، فخافهم فَلِحق بالعراق أو قال بالحِيرة مُتَنَكِّرا، وكان من أهل بيت المُلْك، فكان يتَكَفَّف الناس نَهارَه ويأوي إلى خَرِبةٍ من خَرَاب الحيرة، فبينا هو ذات يوم في تَطْوافه إذ سمع قائلاً يقول: [الطويل]

لَحى اللّهُ صُعْلُوكًا إذا نال مَذْقَةً ... تَوسَّد إحدى ساعديْه فَهَوَّما
مقيمًا بدار الهُون غير مُنَاكِر ... إذا ضِيمَ أغْضَى جَفْنَه ثم برْشَما
يَلُوذ بأذْراء المَشَارِب طامعا ... يَرَى المَنْع والتعبيس من حيْثُ يمَّما
يَضَنُّ بنفسٍ كَدَّر البُؤس عَيْشَها ... وجُودٌ بها لو صانها كان أحْزَما
فذاك الذي إن عاش عاش بِذِلَّةٍ ... وإن مات لم يشهد له الناسُ مأتما
بأرْضِك فاعْرُكْ جِلْدَ جَنْبِك إنني ... رأيتُ غَرِيبَ القوم لَحْمًا مُوضَّما

فكأنه نَبَّهه من رَقْدة، فأقبل على حاشية خيل المنذر فأقام عنده أيامًا وقال له: إني رجل من أهل خيبر أقبلت إلى هذه البلاد بتجارة فأصبْتُ بها، ولي بصَرٌ بسياسة الخيل فاصْطَنِعْني، فَضَمَّه إلى بعض أصحابه حتى وافق غِرَّة من القوم، فركب فرسًا جوادًا من خيل المنذر وخرج من الحيرة يتعسَّف الأرض حتى مرَّ بحي من بَهْراء فأخبرهم بشأنه، فأعطوْه زادًا ورمحًا وسيفًا وخرج حتى أتى الشام فصادف الملكَ مُتَبَذِّيا، وكان إذا تَبَذَّى لا يُحْجب أحد عنه، فأتى قُبَّةَ الملك فقام قريبًا منه وأنشد يقول: [الرجز]

يا صاحب الخيل الجِياد المُقْرِبه ... وصاحبَ الكَتِيبة المُكَوْكَبه
والقُبَّةِ المنيعة المُحَجَّبه ... وواهب المُضَمَّرة المُرَبَّبه
والكاعِب البَهْكَنَةِ المُؤَلَّبه ... والمائة المُذْفَاة المُنْتَخَبه
والضَّارِب الكَبْش فوْقَ الرَّقَبه ... تحت عجاج الكُبَّة المُكَبَّبه
هذا مقامُ مَنْ رأى مُطَلَّبَه ... لَدَيْك إذ عَمَّى الضَّلالُ مَذْهَبه

وخَالَ أنَّ حَشْمَه قد كَرَبَه

فأذِنَ له المَلِك فدخل عليه وقَصَّ قصتَه، فقال له الملك: أنَى لِحلْمك يا شَيْظَم أن يَثُوب ولِتَوَارِك أن يثوب، ثم بعث إلى أولياء المقتول فأرضاهم عن صاحبهم.

قال أبو علي: وحدثني أبو بكر، قال: حدثنا عبد الرحمن، عن عمه؛ قال: قال أعرابي لابن عمه: اطْلُبْ لي امرأةً بيضاء. مديدةً فَرْعاء، جَعْدة تقوم فلا يُصيب قميصُها منها إلا مُشَاشَتَيْ مَنْكِبَيْها وحَلَمَتيْ ثَدْيَيْها ورانِفَتيْ أليَتَيْها ورُضَافَيْ ركبتيها، إذا اسْتَلْقَتْ فَرمَيْت تحتها بالأتْرُجَّة العظيمة نَفَذَتْ من الجانب الآخر، فقال: وأنَّي بمثل هذه إلاَّ في الجِنَان!.

[٢٥] [صفة الأسد في مجلس يزيد بن معاوية]:

مجلس في صفة الأسد. قال أبو علي: أخبرنا أبو بكر بن دريد، قال: أخبرنا الأشناندانى، عن التوزي، عن أبي عبيدة؛ قال: اجتمع عند يزيد بن معاوية أبو زبيد الطائي وجميل بن مَعْمر العُذْري والأخطل التَّغْلبي، فقال لهم: أيكم يصف الأسدَ في غير شعر؟ فقال أبو زُبَيد: أنا يا أمير المؤمنين، لَوْنُه وَرْد، وزئيرُه رَعْد. وقال مرة أخرى: زَغْد. ووَثْبُه شَدّ، وأخْذُهُ جِد، وهوْلُه شديد، وشَرُّه عَتِيد، ونابُه حديد، وأنفُه أخْتَم، وخَدُّه أدْرَم، ومِشْفَرُه أذْلَم، وكَفّاه خُرَاصَتَان، ورِجْلَاه ناتئتان، وعيْنَاه وَقَّادَتان، كأنهما لَمْعُ بارق، أو نَجْمٌ طارق، إذا استقبلتَه قلتَ أفْدع، وإذا اسْتَعْرضْتَه قلت: أكْوَع، وإذا استدبرتَه قلت: أصْمَع، بَصِير إذا اسْتَفْضَى، هَمُوسٌ إذا مَشَى، إذا قَفَّى كَمَش، وإذا جَرى طَمَسَ، بَرَاثِنُه شَثْنَة، ومَفَاصِلُه مُتَرَصّة، مُضِيقٌ لقَلْب الجَبَان. مُرَوِّعٌ للماضي الجَنَان، إن قاسَم ظَلَم، وإن كابَرَ دهم، وإن نازل هَشَم، ثم أنشأ يقول: [الرجز]

خُبَغْثِنٌ أشوَسُ ذو تَهَكُّم ... شَثْنُ البَرَاثِن ذو تَبَرْطُم

وذو أهاويلَ وذو تَجَهُّم ... ضَارٍ على اللَّيْث الهِزَبْرِ الضَّيْغَم

وعَيْنُه مثل الشِّهاب المُضْرَم ... وهامةٌ كالحَجَر المُسَلْسَم

فقال: حَسْبُك يا أبا زبيد. ثم قال: قل يا جميل. فقال: يا أمير المؤمنين، وَجْهُه قَذْغَم، وشِدْقُهُ شَدْقَم، ولَغْزُه مُعْرَنْزِم، مُقَدَّمُه كثيف، ومُؤَخَّرُه لطيف، وَوَثْبُه خفيف، وأخْذُه عنيف. عَبْل الذِّراع، شَدِيد النِّخَاع، مُرْدٍ للسِّباع، مُضِيق الزَّئِير، شديد المَرِيد، أهْرَت الشِّدْقَيْن، مُتَرَاص الحَصِيرَيْن، يركب الأهوال، ويَهْتَضِم الأبطال، ويَمْنَع الأشبال، ما إن يزال جاثِمًا في خِيس، أو رابِضًا على فَرِيس، أو ذا وَلْغٍ ونَهِيس، ثم قال: [الرجز]

لَيْثُ عَرِينٍ ضَيْغَمٌ غَضَنْفَرُ ... مُداخِلٌ في خَلْقِه مُضَبَّر

يُخَاف من أنيابه ويُذْعَر ... ما إن يزال قائمًا يُزَمْجِر

لَهُ على كل السِّباع مَفْخَرُ ... قُضَاقِضٌ شَثْنُ البَنَانِ قَسْوَرُ

فقال: حَسْبُك يابن مَعْمَر. ثم قال: قل يا أخطل، فقال: ضَيْغَم ضِرْغام، غَشَمْشَم هَمْهَام، على الأهوال مِقْدام، وللأقران هَضَّام، رِئْبال عَنْبَس، جَرِيٌّ دَلْهَمَس، ذو صَدْر مُفَرْدَس، ظَلُوم أهْوَس، لَيْثُ كَرْوَس: [الرجز]

قُضَاقِضٌ جَهْمٌ شديد المَفْصِل ... مُضَبَّر الساعِدِ ذو تَفَتُّلِ

شَرَنْبَثُ الكَفَّيْن حامي أشْبُلِ ... إذا لَقِيتَه بَطَلٌ لم يَنْكُلِ

مُسَلْسَلِ الهامةِ كَمْشِ الأرْجُلِ ... ذُو لِبدٍ يَفْتَال في تَمَهُّلِ

أنيابُه في فيه مثلُ الأنْصُل ... وعَيْنُه مثل الشِّهاب المُشْعَل

فقال له: حسبك! وأمر لهم بجوائز

[٢٦] وأنشد أبو علي لجميل بن معمر: [الطويل]

سُقِّي اللَّهُ جيراني الذين تَحمَّلوا ... بمُرْتَجِس أضحى بذي الرَّمْث يهْطِلُ

لـه سَـلَـفٌ منـه بـنَـجْـدٍ مُـرَيْـمٌ ... ومـنـه عِـشَـارٌ فـي تِـهـامـة بُـهَّـلُ

ولـولا ابْـنَـةُ الـعُـذْرِيِّ مـابِـتُّ مَـوْهِـنًـا ... لـبَـرْقٍ عَـنَـا مِـنْ نـحـوهـا يـتـهَـلْـلُ

●●●

[٢٧] قال: وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا العُكْليّ، قال: حدثني حاتم بن قَبِيصة؛ قال[1]: أغْزَى زِيادٌ ابنَه عبّادًا الفارس، وأصْحَبه المُهلَّب ففتح، فَبَيْنَاهُمْ كذلك إذ جاءهم فتى شابٌّ بفرس يقوده إلى المهلَّب، فقال: أيها الأمير، أحب أن تَقْبَل منّي هذا الفرس، فإنه مِن سِرّ خيلنا، فَقَبِله المهلبُّ منه، فلما ذهب الفتى نظر إليه المهلب وحركه، فقال: واللّه ما أرى فيه ما قال ولا أحْسَبُه إلا تَعرّض لِصِلَتنا، فأمر له بوَصِيفَتَيْن، فَحُمِلتا على الفرس وردُّه إلى الشاب، فقبل الوصفتين ورَدَّ الفرسَ إلى المهلب فكان في خيله، وكان داود بن قَحْذَم القَيْسي أحد بني قيس بن ثَعلبة نشأ في حَجْرِ المهلب وكان يلي القيام على خيله فَقَدِموا شِيرَازَ وبها حُمْرانُ ابن أبان واليًا عليها وعلى فارس، فقال لهم: هل لكم في السِّباق؟ فقال عبّاد: ونحن على ظَهْرها. فقال المهلب: أجَلْنا أيها الأمير، فقال: كم تريدون؟ قال: أربعين يومًا. قال: نعم، فعلَفَها الرِّطَابَ عشرين وأضْمَرها عشرين. فقال داود بن قَحْذَم للمهلَّب: إن الفرس الذي أهداه الشاب إلينا لا واللّه ما أضُمُّه إلى شيء من خيلنا إلا سَبقَه، فقال المهلب: لعلّه فرسٌ مِنْزَاقٌ بَضَبِر في القُرْب ولا يصبر إذا بَعُدت الغايةُ. قال: لا أدري. قال: لا تُرْسِلْه حتى أجيء. قال: فأمر المهلب بِلِقْحة تُحْلَب والفرس يسمع فلما سمع صوتَ الحِلاب أصاخ بسمعه حتى أُدْنِيتْ منه العُلْبة فشربها، فلما رأى المهلبُّ ذلك قال لداود: لا تُرْسِل الخيل حتى تعلم أنه قد تَوسَّط الميدانَ، فاستهان داود بالفرس، فَحمل عليه شابًا، فقال المهلب: واللّه لقد مرَّ بي سابقًا وما أرَى معه من الخيل واحدًا. قال: فأخذه عبّاد بن المهلب فَحمَله إلى الشام وأهداه إلى معاوية وسمّى الأعرابي، فَسبَق خيلَ الشام، فلذلك قال عبد الملك بن مروان: [الرجز]

سَبَقَ عـبّـادٌ وصَـلَّـتْ لِـحَـيَـتِـهْ ... وكـان خَـرَّازًا تَـجُـود قِـرْبَـتُـهْ

●●●

[٢٨] قال: وحدثنا أبو بكر، قال: أخبرنا أبو حاتم، قال: حدثنا الأصمعي؛ قال: جئت إلى أبي عمرو بن العَلاء فقال لي، من أين أقبلتَ يا أصمعي؟ قلت: جئت من المِرْبَد.

---

(١) كذا بالأصل ومقتضاه أن عبادًا هو ابن زياد وفي بقية القصة ما يفيد أنه ابن المهلب إلا أنه يكون المسمى بعباد اثنين. ط

قال: هاتِ ما معك، فقرأتُ عليه ما كتبت في ألواحي، فَمَرت به ستة أحرف لم يعرفها، فخرج يعدو في الدَّرَجة وقال: شَمَّرْتَ في الغريب أي: غلبتني.

[٢٩] قال أبو علي: وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال: أخبرنا عبد الرحمن، قال: قال عمي: سمعت بيتين أُخفِلُ بهما. قلت: هما على كل حال خير من موضعهما من الكتاب قال: فإني عند الرشيد يومًا وعنده عيسى بن جعفر، فأقبل على مسرورٍ الكبير، فقال له: يا مسرور، كم في بيت مال السرور؟ فقال: ما فيه شيء، فقال عيسى: هذا بيت الحزن، فاغتمَّ لذلك الرشيد وأقبل على عيسى، فقال: واللَّه لَتُعْطِيَنَّ الأصمعيَّ سلفًا على بيت مال السرور ألف دينار، فاغتمَّ عيسى وانكسر. فقلت في نفسي: جاء موضع البيتين: فأنشدت الرشيد - رحمه اللَّه تعالى -: [الطويل]

إذا شئت أن تَلْقَى أخاك مُعبِّسا ... وجَدَّك في الماضين كعبٌ وحاتم

فكَشِّفْه عما في يديه فإنما ... تُكَشِّفُ أخبارَ الرجال الدراهم

قال: فتجلَّى عن الرشيد، وقال لمسرور: أعطِه على بيت مال السرور ألفي دينار، فأخذتُ بالبيتين ألفي دينار وما كان البيتان يساويان عندي درهمين.

[٣٠] وأنشد أبو بكر لمحمد بن صالح: [الكامل]

طَرِبَ الفؤادُ وعادَهُ أترابُه ... وتَشَعَّبَتْ شُعَبًا به أشجانُه

وبَدَا له من بعدما انْدَمَلَ الهوى ... بَرْقٌ تَتابَعَ مَوْهِنًا لَمعانُه

يبدو كحاشية الرداء ودُونَه ... صَعْبُ الذُّرَى مُتَمَنِّعٌ أركانُه

فدنا لِيَنْظُرَ أين لاح فلم يُطِقْ ... نَظَرًا إليه وردَّه سُجْمانُه

فالوجدُ[1] ما اشتملتْ عليه ضلوعُه ... والماء ما سَمَحَتْ[2] به أجفانُه

ثم استعاذ من القبيح وردَّه ... نحو العزاء عن الصِّبا إيمانُه

وبدا له أن الذي قد ناله ... ما كان قَدَّره له دَيَّانُه

حتى اطمأنَّ ضميرُه وكأنما ... هَتَكَ الملائكُ حاملٌ وبِنَانُه

يا نفس لا يذهَبْ بقلبِكِ باطِلٌ ... بالوُدِّ باذِلُ نافِعٍ قِنْوانُه

يَعِدُ القضاءَ وليس يُنْجِز مَوْعِدًا ... ويكون قَبْلَ قضائه لَيَّانُه

فاقنع بما قَسَمَ المليكُ فإنَّه ... ما لا يُزِلُّ عن التقى إتيانُه

[٣١] [مجلس في الخيل المنسوبة]:

قال أبو علي: حدثنا أبو بكر، عن الأصمعي؛ قال: كان الخَرُون من خيل العرب. حدثني رجل من أهل الشام قال: كان مع مسلم بالرَّيّ، ثم جاء فَشَهِد معه وقعةَ إبراهيم،

(١) المحفوظ «فالنار»، ولعلهما روايتان. ط

(٢) كذا بالأصل والمحفوظ: سحت بغير ميم من السح وهو الانصباب. ط

قال: حدثني بهذا النسب مسلم، قال: الحَرُون بن الأثاثي بن الخُزَز بن ذهْل الصُّفُوفة بن أعْوَج فَرَس مسلم بن عمرو الباهلي في الإسلام، وكان مسلم اشتراه من أعرابي بالبصرة بألف درهم معاوَضةً بمتاع، وذكر أنه كان في عُنُقِه رَسَنٌ حين أدخله الأعرابي، يطير عِفَاؤه[1] فسبَق الناسَ عليه عشرين سنة، وكان يُسْبِق الخيلَ ثم يَخِرُّ حتى تلحقَه الخيل، فإذا لَحِقَتْه سبقها ثم خَرَّ ثم سبقها. وكان الحجاج قد بَعَث بابن له يقال له البِطَان إلى الوليد بن عبد الملك فَصَيَّره لمحمد ابنه. وولَد البِطانُ البَطِينَ. وولد البطينُ الذائدَ. وكان هشام بن عبد الملك يشتهي أن يُسْبَق الذائدُ، فأتوه بفرس بَرْبَرِيٍّ يقال له المُكاتب بعد ما خَطِمَ الذائد وسَبَقَ أيضًا عشرين سنة. قال فَضَمُّه إليه فكان سائسُه يقول: جَهَد المُكاتبُ الذائدَ جَهَدَه الله! أي: في الجَرْي وهو مُتفَسِّح. قال: فجاء معه يتقدمه بشيء. والذائد ابن البطين[2]. وأشْقَرُ مَرْوَان من نسل الذائد.

قال الاصمعي: كان عبد الله بن علي قدم بأشقر مروان البصرة، قال: فرأيته أشقر أعْوَر من نسل الذائد.

قال: وحدثني جعفر بن سليمان قال: كان لايدخل على الذائد سائسُه حتى يأذنَ، يُحرِّك له مِخْلاةً فيها شعير، فإن تَحَمْحَم دخل عليه، وإن هو دَخَل قبل أن يفعل ذلك شَدَّ عليه، وكذا كان يصنع بالفرس إذا جَرَى مِعه يُكْدِمُه.

قال الأصمعي: الوَجِيه ولاحِقٌ والغُرَاب وسَبَل وهي أُمُّ أعوج كانت لِغَنِيٍّ، وأعْوَجُ كان لبني آكل المُرَار، ثم صار لبني هلال بن عامر. وجَوْزة: فرس شَدَّاد بن عمرو أبي عنترة بن شداد. ومَيَّاسٌ وهَدَّاج لباهلة[3] لبني لُعبا، قالت الحارثية: [الطويل]

شَقِيقٌ وحَرْمِيٌّ هَرَاقا دماءنا ... وفارسُ هَدَّاجٍ أشابَ النَّواصِيَا

والكَلْب: فرس رجل من بني عامر أو غَطَفان: وقرزل: فرس الطُّفَيل أبي عامر ابن الطفيل. وذو الخِمَار: فرس مالك بن نويْرة. والجَوْب: فرس أزْقم بن نويرة. وذات النُّسُوع: فرس بِسْطام بن قيس. والنَّعامة: فرس للحارث بن عباد وَوَلَدَتِ النَّعامةُ الشَّيْط وهو لبني سَدُوس. وكان لخُزَز بن لَوْذان، وفيه يقول: [الكامل]

لا تَذْكُري مُهْرِي وما أطْعَمْتُه ... فيكونَ جِلْدُكِ مِثْلَ جِلْد الأجرب

والمتَمَطِّر: فرس حَيَّانَ بن مُرَّة من نسله. وكامل: فرس الحَوْفَزان. وحَلَّاب وقَيْد لِبني تَغْلِب. ومُخَالِس لبني عُقَيل. واليَحْمُوم والذُّفُوف للنعمان بن المنذر. والعَصَا: فرس جَذِيمة الأبرش. وفي بني تغلب فرس يقال له العصا فارسه الأخنس ابن شهاب. والهَطَّال لزَيْد الخَيْل. والنَّحَّام لرجل يقال السُّلَيْك بن سُلَكة السَّعْدي. وداحس لقَيْس بن زُهَير. والغَبْراء لحذيفة بن بدر الذبياني.

---

(١) العفاء: الشعر إذا طال ووفى. ط

(٢) كذا بالأصل وهو مكرر مع ما سبق قريبًا. ط

(٣) هكذا بالأصل؛ ولعل بني أعيا بطن من باهلة فانظر وحرر. ط

[٣٢] [خطبة زياد لما قدم البصرة]:

قال أبو علي: وحدثنا أبو العباس، قال: حدثني علي بن عبد الله الهاشمي، قال: حدثنا العكلي، عن أبي معمر قال: قَدِم زياد والمُهلَّب بن أبي صُفْرة البصرة، فجاء إلى الجمعة وقد لَبِس قميصًا مُرَحَّضا[1] ومُلاءة مُمَصَّرة[2]، فصَعِد المنبر، فقال: رُبَّ فَرِح بإمارتي لن تنفعه، ورُبَّ مُبْتَئِس بها لن تَضُرَّه، ثم حَمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن معاوية قد قال ما بَلَغكم وشَهِدَت الشهودُ بما قد سمعتم، وإنِّي امرؤ قد رَفَع الله منِّي ما وَضَعُوا وحَفِظ منِّي ما ضَيَّعوا، وإن عُبَيْدا لم يَأْلُ أن يكون كافلاً مبرورًا وأبًا مشكورًا، وإنا قد سُسْنا وساسَنا السائسون، فلم نَجِدْ لهذا الأمر خَيْرًا من لِينٍ في غير وَهْن، ولا مِن شِدَّة في غير جَبْرِيَّة. ألاَ وإنها ليست كَذْبة أكثرَ عليها شاهدًا من الله ومن المسلمين من كذبة إمام على مِنبر، فإذا سمعتموها منِّي فاختبروها فيَّ، واعلموا أن لها عندي أخَواتٍ، وإذا رأيتموني أُجْرِي الأمور فيكم على أذلالها[3]، وأُمْضِيها لسُبُلِها، فلْتَسْتَقِمْ لي قَنَاتُكم. والله لآخُذَنَّ المُقْبِلَ بالمُدْبِر، والمُحْسِنَ بالمسيء، والمطيعَ بالعاصي، حتى يَلْقَى الرجلُ منكم أخاه فيقول: يا سَعْدُ انْجُ فإن سعيدًا قد قُتل. فقام إليه رجل يقال له مَعْقِل بن الأهتم فقال: والله، لقد آتاك الله الحكمةَ وفصلَ الخطاب. فقال: كَذَبْتَ - قاتلك الله يا داود - عليه الصلاة والسلام -. ثم قام إليه الأحنف بن قيس فقال: أصلحَ الله الأمير، إن الجواد يشدُّه، وإن السيف يحدُّه، وإن المرة بجِدِّه، وإن جِدَّك قد بَلَغ بك ما ترى، وإن الثَّناء بعد البَلاء، ولَسْنا نُثْنِي عليك حتى نَبْتَلِيَك، فأوْلِ خيرًا نُثْنِ به. ثم قام أبو بِلال مِرْداسُ بن أُدَيَّة فقال: يأيها الإنسان، إنا قد سمعنا ما قُمْتَ به وما أدَّيت عن نفسك، وإن الله ذَكَر وَلِيَّه وخليلَه إبراهيم فقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ. أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٧-٣٨] وأنت تزعم أنك تأخذ بعضنا ببعض وتقتل بعضنا ببعض ثم سكت فما رُئِيَ بعد ذلك.

قال أبو العباس: وحُدِّثت بهذا الحديث من وجه آخر فيه، فقال زياد: يا هذا إنا لن نَبْلُغ الحقَّ حتى نخوضَ إليه الباطلَ خَوْضًا.

●●●

[٣٣] وأنشدنا لِرُقَيْع بن سَلْمة العَبْدي المعروف بذَمَاذ: [المتقارب]

تَفَكَّرْتُ في النَّحْو حتى مَلِلْتُ ... وأتْعَبْتُ روحي له والبَدَنْ

وأتْعَبْتُ بَكْرًا وأشْياعَه ... بطول المسائل من كل فَنْ

---

(١) كذا في النسخ مضبوطًا بالتشديد، وعبارة «القاموس» رحضه كمنعه غسله كأرحضه اهـ.

(٢) ممصرة: مصبوغة بالمصر وهو الطين الأحمر وقيل هي ما صبغت بالعشرق وهو نبات أحمر طيب الرائحة تستعمله العرائس. ط

(٣) على أذلالها: على وجوهها. ط

فَمِنْ عِلْمِهِ ظاهِرٌ بَيِّنٌ ومِن عِلْمِهِ غامِضٌ قد بَطَنْ
فكُنْتُ بِظاهِرِهِ عالِمًا وكِنتُ بِباطِنِهِ ذا فِطَنْ
سِوَى أنَّ بابًا عليهِ العَفَا ءُ لِلفاءِ بالَيْتَهُ لم يَكُنْ
ولِلواوِ بابٌ إلى جَنْبِهِ مِنَ المَقْتِ[1] الحَسَبُهُ قد لُعِنْ
إذا قُلتُ هاتوا لِما قيلَ ذا فَلَسْتُ بِآتيكَ أو تَأْتِيَنْ
بِما نَصَبُوهُ أبِيُّوهُ لي فقالوا جميعًا بإضمارِ أنْ
وما إن رأيتُ لها موضِعًا فأعْرِفَ ما قيلَ إلاَّ بِظَنْ
فقد خِفْتُ يا بَكْرُ مِنْ طولِ ما أُفَكِّرُ في أمرِ أنْ أنْ أُجَنْ

قال أبو بكر: يعني بِبَكْرٍ أبا عثمان المازني. قال أبو العباس: فبلغ ذلك المازِنِيَّ، فقال: والله ما أحْسَب أنه سألني قَطُّ، فكيف أتْعَبَني!.

[٣٤] قال أبو العباس: كان علي - رضي الله تعالى عنه - يأخذ البَيْعة على أصحابه، فجعلوا يقولون نَعَام، يريدون: نَعَمْ، فقال علي رضي الله عنه: إن النَّعَامَ والباقِرَ في الصَّحْراء لكثير، مالَكُمْ! أبدلكم الله مني مَنْ هو شَرٌّ لكم مني، وأبدلني الله منكم من هو خير لي منكم[2].

[٣٥] [من أخبار حاتم الطائي]

قال أبو العباس: قرأت على التوزي، عن أبي عبيدة إملاء عليه؛ قال: مرَّ حاتم بن عبد الله الطائي ببلاد عَنَزَة، فناداه أسير لهم: يا أبا سَفَّانة، أكَلني الإسارُ والقَمْل. فقال له: ويحك! والله لقد أسأتَ بي إذ نَوَّهت بي في غير بلاد قومي. قال: فنزل فَشَدَّ نفسه في مكانه في القِدِّ وأطلقه حتى عُرِف مكانه ففُدِيَ فداء كثيرًا. قال: وفي غير هذا الحديث أن امرأةَ أسيره أتَتْه والحَيُّ خُلُوفٌ ببعير قد نِيطَ وبِشَفْرة فقالت له: اذبَحْه، فقام فنَحَره. أو قال مرة أخرى: فَلَثَم في نَحْره. فَلَطَمَتْه فقال: «لو غَيْرُ ذات سِوارٍ لَطَمتْني» فقالت: أمرتُك أن تُفْصِده فنحرتَه فقال: «ذلِك فَصْدِي أنْهْ» فبذلك عُرِف، وقال أبو العباس مرة أُخرى فقال: «هكذا فَزْدي أنْهْ» بالزاي، وجعل الهاء بدل الألف في الوقف وهو الأصل، وهي لغته فبذلك عرف، وأنشدنا في مثل ذلك: [السريع]

لا أُفْصِدُ الناقةَ من أنفِها لكِنَّني أُوجِرُها العالِيَهْ

[٣٦] وأنشدنا أبو علي لجحظة كتب بها إلى الوزير ابن مُقْلة، وكانت عند أبي علي بخط جحظة كما كتب بها: [الطويل]

سَلامٌ عليكم من شُيَيْخٍ مُقَوَّسٍ له جَسَدٌ بالٍ وعَظْمٌ مُحَطَّمُ

---

(١) في نسخة: «من البغض». ط

(٢) (أخرج آخره ابن عساكر في تاريخه (٣/ ١٢٣ - ٣٢٣) مسند على محقق المحمودي

ألم يَكُ في حقّ النّدام وحُرْمة الـ ... ـمدائح أن يُحْنَى عليه ويَرْحَم
أبا حَسَنٍ الصِفْ فأنت مُحَكَّم ... ولا تَقْرَبَنَّ الظُّلْمَ فالظلم مُظْلِم
أيُضْيِع مثلي في جِوارك ضائعًا ... وجَوْدُك للطُّرّاق بالجُود مُفْعَم
ووالله ما قَصَّرْتُ في شُكْر نعمةٍ ... مننْتَ بها قِدْما وذو العرش يَعْلَم

[٣٧] [حديث أبي دهبل الجمحي مع فتاة جيرون]:

قال: وأخبرنا أبو عثمان الأشناندانى، قال: أخبرنا التوزي، عن أبي عبيدة؛ قال: كان أبو دَهْبَل الجُمَحي جميلاً وَضِيئًا، وكان عفيفًا، فخرج إلى الشام، فنزل جيرون، فجاءته عجوز فقالت: إن ابنة لي وَرَدَها كتاب من حَمِيم لها وليس عندها أحد يقرؤه، فتدخل إليها في هذا القصر فتقرؤه فتحتسب الأجرَ فيها، ففعل فدخل فأغلق الباب دونه وإذا امرأة في القصر رأته فأعجبها، فدعته إلى نفسها، فأبى، فأمرتْ حشَمَها فسجنوه في منزل من الدار ومُنِع من الطعام والشراب حتى كاد يَهْلِك. ثم أمرتْ به فأُخرج ودعته إلى نفسها فأبى، وقال: أما الحرام فلا، ولكن إن أردتِ أن أتزوجك فعلتُ. فقالت: نعم، وأحسنتْ إليه حتى ردَّت له روحَه، فتزوّجته ومنَعَته من الخروج حتى طال ذلك عليه. ثم قال لها ذات يوم: قد أثِمْت في وَلَدي وأهلي، فأذني لي في أن أطالعهم وأرجع إليك. فقالت: لا أستطيع فراقك، فعاهَدَها ألاّ يغيبَ عنها أكثر من شهر، وأعطته مالا كثيرًا وغير ذلك، فخرج حتى قَدِم على أهله بمكة، فوجدهم قد نُعِيَ لهم واقتسم ولدُه مالَه وزوّجوا بناته ووجد زوجته لم تأخذ من ماله شيئًا وبكَتْ عليه حتى غَمَضَتْ[1]. فقال لبنيه: أمّا أنتم فَحَظُّكم ما أخذتم من مالي، وقال لزوجته: هذا المال لك فاصنعي به ما شئتِ. وأقام عندها حتى قربت المدة، ثم مضى إلى الشام، فوجد زوجته الثانية قد ماتت حزنًا عليه وأسفًا لفراقه، فقال فيها: [الخفيف]

صاحِ حَيِّا الإلهُ حَيًّا وذُورا ... عند أصل القَناة من جَيْرُون
عن يساري إذا دَخَلْتُ إلى الدا ... ر وإن كنت خارجًا فَيَمِيني
فَبِتِلْك اعْتَمَرْتُ بالشام حتى ... ظنّ أهلي مُرَجَّمات الظنون
خَخَخ وَهْيَ زَهْراء مثل لؤلؤة الغوّاص ميزَتْ من جوهر مَكْنون
وإذا ما نَسَبْتَهَا لم تجدها ... في سَناء من المكارم دُون
تَجْعَل المِسْك واليَلَنْجُوج والنّـ ... ـدّ صِلاءً لها على الكانون

---

(١) كذا في الأصل وفي «اللسان» عمشت. ط

(٢) كذا في الأصل والذي في «الصحاح» و«اللسان» ثم خاصرتها شاهدًا على المخاصرة وهي أخذ الرجل يد الرجل في المشي. ط

ثم ما شَيَّتُها[1] إلى القُبَّة الخَضْـ ـراء تَمْشِي في مَرْمَرٍ مَسْنُون
قُبَّة من مَراجِلٍ عَرَبَتْـ ـها قبل جَدّ[2] الشتاء في قَيْطُون
ثم فارقتُها على خير ما كان قَرِينٌ مفارقًا لقَرِين
فَبَكَتْ خشيةَ التَّفَرُّق للبَيْـ ـن بكاءَ الحزين إثْرَ الحزين
فَسَلِي عن تَذَكُّرِي واطْمَئِنِّي بإيابي وإن هُمُ عَذَّلُوني

قال أبو علي: وهذا الشعر يروى لعبد الرحمن بن حسان وبه كان سَبَب أمر يزيد الأخطل بهجاء الأنصار، وفيه أبيات ليست في شعر عبد الرحمن.

[٣٨] [أشعب يصلح بين مصعب بن الزبير وعائشة بنت طلحة زوجته]:

قال أبو بكر بن الأنباري: قال بعض مَشْيَختنا: قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: كان أشعَب فيمن يألف مُصْعَب بن الزبير، فَغَضِبت عائشة بنت طلحة يومًا على مصعب، وكانت زَوْجته ومِنْ أحبّ الناس إليه، فشكا ذلك إلى أعشب، فقال: مالِي إن رَضِيَتْ أصلح اللّه الأمير؟ قال: حكمُك، قال: عشرة آلاف درهم. قال: ذلك لك، فانطلق أشعبُ حتى أتاها، فقال لها: جُعِلْتُ فداءك! قد عَلِمْتِ حُبِّي لك ومَيْلِي إليك قديمًا وحديثًا على غير مَنَال أنَلْتِنِيه، ولا فائدة أفَدْتِنِيها، وهذه حاجة قد عرضت لي أحِبّ بها شكري، وتُمْضِين بها حَقِّي بغير مَرْزِية. قالت: وما هي؟ قال: قد جُعِل لي في الإصلاح بينك وبين ابن الزبير عشرة آلاف درهم. قالت: ويحك! لا يمكنني ذلك. قال: بأبي أنتِ وأمي! ارضَي عنه حتى يعطِيَني العشرة آلاف درهم، ثم عُودِي إلى ما عَوَّدك اللّه من سوء خلقك، فضحكت من كلامه ورضِيتْ.

[٣٩] قال إسحاق: أُتِيَ ابن أبي مُسَاحِق بابن أُخت له وقد أحْبَل جاريةً من جواري جيرانه فقال له: يا عَدُوَّ اللّه، إذا ابْتُلِيت بالفاحشة فهلاّ عَزَلْت! قال: جعلتُ فداءك! بلغني أن العَزْل مكروه، قال: أفَما بَلَغك أن الزنا حرام![3].

[٤٠] وأنشد إسحاق: [السريع]

يعلو بهم جَدُّهُمُ صاعدا وجَدُّنا في رِجْله رَهْصه

[٤١] قال أبو محلم: سمعت جرير بن عبد الحميد ينشد: [الرجز]

إنَّ[4] اكتحالاً بالبياض الأبرَجِ ونَظَرًا في الحاجب المُزَجَّجِ
مَيِّتَةٌ من الفَعال الأعرجِ

---

(١) هكذا في الأصل والذي في «اللسان» مادة قطن! «عند برد». ط
(٢) القصة في «الكامل» للمبرد (٦٠٠)، وفيها أن المصلح بينهام ابن أبي عتيق وليس أشعب.
(٣) أوردها الزمخشري في كتابه «ربيع الأبرار ونصوص الأخبار» (٢/ ٤٨٣).
(٤) كذا في الأصل وفي «اللسان» في مادة «أنن»: «أن اكتحالا بالنقي الأملج» وفي مادة ملج منه: «الأملج»: ضرب من العقاقير ويطلق على الأصفر الذي ليس بأبيض ولا أسود فلعلهما روايتان. ط

[٤٢] قال ابن حبيب قال هشام قولهم: بنو الشهر الحرام، قالت بنو عامر بن عوف: هو مالك بن عمير بن عامر بن بكر بن عامر بن عوف، وكان أبي يقول: الشهرُ الحَرَام هو عَبْدُ وَدٍّ بن عوف بن كنانة بن عوف بن عُذْرة، وهم رَهْط هشام الكلبي، وإنما سمي بذلك؛ لأنه كان يُحَرِّم الشهر الحرام.

[٤٣] وقال التَّيْمي: أنشدنا أبو مَسْلمة الكِلَابي وقد باع جاريته نَبأ من عثمان بن سُحَيم التاجر، فقال له بعض أصحابه: يا أبا مسلمة، بِعْتَ نبأ! فقال: [الطويل]

وقد[1] تُخْرِجُ الحاجاتُ يا أُمَّ مالك ... كَرَائِمَ مِنْ رَبٍّ بِهِنَّ ضَنِينِ

فبلغ أبا مصعب، فاشتراها وردّها على أبي مسلمة.

[٤٤] [ثأر عمرو بن معد يكرب لأخيه عبد الله]:

قال الأصمعي كان بين عمرو بن مَعْدِ يكرِب وبين رجل من مُراد. يقال له أبيٌّ. كلام، فتنازعا في القَسْم، فعجِل عمرو وكانت فيه عَجَلة، وكان عبد الله أخو عمرو رئيسَ قومه، فجلس مع بني مازن رَهْط من سَعْدِ العَشيرة وكانوا فيهم. فقعد عبد الله يشرب ويسقيهم رجل يقال له المخَزَّم من بني زَبِيد له مال وشَرَف. وكان عبدٌ من عبيد المخزَّم قائمًا يسقي القوم، فَسَبَّه عبد الله وضربه، فقام رجل شَيْبانيٌ من بني مازن فقتل عبدَ الله، فرأس عمرٌو بعد أخيه، وكان غزا غَزْوةً فأصاب فيها ومعه أبي المُرادي، فادعى أنه كان مُساند عمرو، فأبى عمرو أن يعطيه، فلما رجع عمرو من غَزَاته جاءت بنو مازن فقالوا: قَتَله رجل منّا سفيه ونحن يَدُك عليه وعَضُدُك، وإنما قتله سكران فنسألك بالرَّحِم أن تأخذ الدية وتأخذ بعد ذلك ما أحببت، فأخذ عمرو الدية وزادوه بعد ذلك أشياء كثيرة، فغضبت أُخت له تسمى كَبْشة، وكانت ناكحًا في بني الحارث بن كعب فقالت: [الطويل]

وأرْسَلَ عبدُ اللَّه إذ حان يومُه ... إلى قومه ألا تُخَلُّوا لهم دمي

ولا تأخذوا منهم إقَلاً وأبْكُرًا ... وأتْرُك في بيت بصعْدة مُظْلِم

ودَعْ عنك عَمْرًا إن عمرًا مُسَالِمٌ ... وهَلْ بَطنُ عمرو غيرُ شِبْرٍ لمَطْعَم

فإن أنتمُ لم تَقْتُلوا واتَّدَيْتُموا ... فَمُشُّوا بآذان النِّعام المُصَلَّم

ولا تشربوا إلا فُضُولَ نسائكم ... إذا أُنهِلَتْ[2] أعقابُهُنَّ من الدم

جَدَعْتُم بعبد اللَّه آنفَ قومه ... بني مازن أن سَبَّ ساقي المُخَزَّم

فلما حَضَّت كبشة أخاها عمرا أكبَّ بالغارة عليهم وهم غارُّون، فأوْجَع فيهم. ثم إن بني مازن احْتَمَلوا فنزلوا في مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، فقال عمرو في ذلك: [الوافر]

---

(١) في نسخة: تنزع مكان تخرج. اهـ. ط

(٢) هكذا في الأصل. والذي في «معجم ياقوت» إذا ارتملت؛ أي: تلطخت، والمدار على الرواية. ط

تَمَنَّتْ مازنٌ جَهْلاً خِلاطِي ... فَذُوقِي مازنٌ طَعْمَ الخِلاطِ[1]

أَطَلْتُ بِرَاطَكُم[2] عامًا فعامًا ... ودَيْنُ المُلْحِجي إلى بِرَاط

أَطَلْتُ بِرَاطَكُم حَتَّى إذا ما ... قَتَلْتُ سَراتَكم كانت قَطَاط[3]

غَدَرْتُمْ غَدْرَةً وغَدَرْتُ أُخرى ... فما إن يَيْئَسَنَّا أبدًا يَعَاطِ[4]

بِطَعْنٍ كالحريق إذا الْتَقَيْنَا ... وضرب النَّطْرَنِية في الغَطَاط[5]

[٤٥] [شعر في وصف الفرس]:

قال أبو علي: في كتاب الخيل لأبي عبيدة: أنشد أبو عبيدة لعبد الغفار الخُزَاعي هذه الأبيات وذكر أن عروضها لا تُخَرَّج: [المنسرح]

ذاك وقد أَذْعَرُ الوَحْشَ بِطَلٍّ ... بِنْتِ الخَدِّ رَحْبٍ لَبَانُه مُجْفَر

طويل خَمْسٍ قَصِير أربعةٍ ... عَرِيض سِتٍّ مُقَلَّص حَشْوَر

حُذْتُ له تِسْعةً وقد عَرِيَتْ ... تِسْعٌ ففيه لِمَن رَأى مَنْظَر

بِعَيْد عَشْر وقد قَرُبْنَ له ... عَشْرٌ وقد طالَتْ ولم تُقْصُر

نُقْفِيه بالمَخْض دون وِلْدَيْنا ... وهُقُّه في آرِيِّه يُنْشَر

نُصْبَحُه تارةً ونُغْبِقُه ... الْبانُ كُوم زَوائِم ظُؤُر

حتَّى شَتَا عندنا يُقال لا ... تُطْعَمُون من بُدْنِه وقد أُضْمِر

مُوَثَّق الخَلْق جُرْشُعٌ عَنَدٌ ... مُنْضَرِج الحُضْر حين يُسْتَحْضَر

خَاظِي الحَمَاتَيْنِ لَحْمُه زِيَمٌ ... نَهْدٌ شَدِيد الصِّفاق والأَبْهَر

رَقِيق خَمْسٍ غَلِيظ أربعةٍ ... ثانِي المِعَدَيْن لَيِّنُ الأَشْعَر

قال أبو عبيدة: يعني بقوله طويل خمس أي: طويل نصيل الرأس، طويل الأذنين، طويل العنق والكتفين، طويل البطن من غير أن تَقْرُب إلى الأرض، طويل الأقراب، طويل الناصية، طويل الذِّراعين، طويل الرِّجْلين، فهذا ما يُسْتَحَبُّ[6] من الفرس أن يطول. وذكر هذا الشاعر منها خمسًا. وقوله: قصير أربعة أي قصير الأرساغ، قصير عَسِيب الذَّنَب، قصير النَّغِيّ، قصير الكُراعَيْن، قصر الأُطرة وهي عَصَبة فوق الصِّفاق، فهذا ما يستحب أن يَقْصُر من الفرس وهُنَّ عشر، وذكر هذا الشاعر منهن أربعًا. وقال: عريض ستٌ أي: عريض

(١) الخلاط: أن يشتبك مع القوم في الحرب. ط

(٢) فراطكم: أمهالكم والتأني بكم. ط

(٣) قطاط كقطام؛ أي: حسبي. ط

(٤) يعاط: كلمة ينذر بها الرقيب أهله إذا رأى جيشًا. ط

(٥) الغطاط بالضم: أول الصبح أو بقية من سواد الليل. ط

(٦) سيأتي له أنها ستة عشر عضوًا. ط

الجبهة، عريض اللِّبَان، عريض المَحْزِم، عريض الفَخِذين، عريض وَظِيفَي الرِّجلين، عريض مثنى الأُذُنين. فهذا ما يستحب أن يَعْرُض من الفرس وهن تسع، وذكر هذا الشاعر منهن ستًا. قوله: حدَّثَ له تسعة أي: حَدِيد الأُذنين، حديد المَنْكِبين، حديد العينين، حديد القلب، حديد عُرْقوبي الرجلين، حديد المنْجِمَين، وهما عظمان في الكعبين متقابلان في باطنهما، حديد الكَرِدَين. فهذا ما يستحب أن يَجِدَّ من الفرس وهن ثلاث عشرة وذكر هذا الشاعر منهن تسعًا. وقوله: وقد عُرِيَتْ تسع أي: عاري النَّواهِق، عاري السُّمُوم، عاري الخَدَّيْن، عاري الجبهة، عاري مثنى الأُذنين، عاري الكَعْبين، عاري عَصب اليدين، عارى عصب الرجلين، فهذا ما يستحب أن يَعْرَى من الفرس وهن خمس عشرة، وذكر هذا الشاعر منهن تسعًا[1] وقوله: تِسْع كُسِين؛ أي: مُكْتَسِي الكَتِفين، مكتسي المَعَدَّيْن، مكتسي الناهضين، مكتسي الفخذين، مكتسب الكاذَتَيْن، مُكْتسي أعلى الحَمانَتَيْن. فهذا ما يستحب أن يُكْتَسَى من الفرس وهن اثنتا عشرة، وذكر هذا الشاعر منهن تسعًا. وقوله: بعيد عشر، بعيد ما بين العَيْنين، بعيد ما بين الْجَحفَلَةَ والناصية، بعيد ما بين الأُذنين والعينين، بعيد ما بين أعالي اللَّحْيين، بعيد ما بين الناصية والعُكْوة، بعيد ما بين الحارك والمَنْكِب، بعيد ما بين العَضُدين والركبتين، بعيد ما بين البطن والرُّفَغَين، بعيد ما بين الحَجَبَتَيْن والجاعِرَتَين، بعيد ما بين الشَّراسِيف. فهذا ما يستحب أن يبْعُد ما بينهما من الفرس، وذكر هذا الشاعر منهن عشرًا[2] ولم يعُدَّ البين أعني بين كل شيئين فَيَكُنَّ بينًا، ولكنه عدّ كل اثنين بباعدا. وقوله: وقد قُرِّبْن له عشر أي: قريب ما بين المُنْخُرين، قريب ما بين الأُذنين، قريب ما بين المَنْكِبين، قريب ما بين الرُّفَغَين، قريب ما بين الركبتين والجنبين، قريب ما بين الجَبَب والأشاعر، قريب ما بين الحارك والقَطَاة، قريب ما بين المعَدَّيْن والقُصْرَيين، قريب ما بين الجَاعِرَتَيْن والعُكْوة، قريب ما بين الثَّنِيَّتَيْن والكعبين، قريب ما بين صبيَّي اللَّحْيين. فهذا ما يستحبُّ أن يَقْرُب من الفرس، وإن عدَدت البيْن وجدْت أحد عشر بينا، وإن عددت ما قرب منها فهنَّ ثنتان وعشرون، وذكر هذا الشاعر منهن عشرا. وقوله: طويل خمس جاء تفسيرهن ستة عشر عضوا وقد تقدم ذكره. وقوله: رقيق خمس أي: رقيق الحجافل، رقيق الأرْنبة، رقيق عَرْض المَنْخِرين، رقيق الجفون، رقيق الحاجبين، رقيق الأُذنين، رقيق الخَدَّين، رقيق الشعر، رقيق الجلد، رقيق شَعَر الثُّنَن، رقيق شعر الركبتين، رقيق الخُصَل. فهذا ما يستحب أن يَرِقَّ من الفرس وهن سبع عشرة، وقد ذكر هذا الشاعر منهن خمسًا. وقوله: غليظ أربعة أي: غليظ الخَلْق، غليظ القوائم، غليظ القَصَرة، غليظ عُكْوة الذَّنَب. وقد أرحب[3] منه؛ أي: رَحْبُ الشَّدْقَيْن، رَحْب المنخرين، رَحْب الإهاب،

---

(١) وقوله تسع كسين لم يتقدم في الأبيات ذكر هذه العبارة؛ ولعل هنا بيتًا سقط من قلم الناسخ. ط

(٢) هكذا في النسخ ولعل هنا سقطًا، وقد تقدم مثله في شرح قوله طويل خمس. ط

(٣) هذه العبارة، وقوله فيما سيأتي وفيه من الطير خمس؛ لم تذكر هذه العبارة في الأبيات، ولعلها سقطت من الناسخ. ط

رحب الجوف، رحب العِجَان، رحب اللِّبَان، فهذا ما يستحب أن يَرْحُب من الفرس وهن تسع. وذكر الأسدي في قوله: وفيه من الطير خمس ثم فسر الخمس في البيت الثاني فقال: [المتقارب]

غُـرَابَـانِ فَـوْقَ قَـطَـاةٍ لَـه ... وَنَـسْـرٌ وَيَـعْـسُـوبُـه قَـد بَـدَا

[٤٦] [مطلب ما في الفرس من أسماء الطير]:

وفي الفرس من أسماء الطير ثمانية عشر اسما: العُصْفُور وهو عَظمٌ ناتئ في كل جَبِين، وهو أيضًا من الغُرّ إذا دَقّ، وهو أصل مَنْبِت الناصية، وهو الدماغ بعينه، والنَّعَامة وهي الجلدة التي تغطي الدماغ. والذُّباب وهي النُّكتة الصغيرة التي في العين، ومنه البصر وجمعه أذِبَّة وذبّان وهو إنسان العين أيضًا. والسّحاءة وهي الخُفّاش أحد السّحَاءتين، وهما عُظَيْمان صغيران في أصل اللسان. والصُّرَد: عِرق أخضر في أصل اللسان من أسفله، وهما صُرَدَان، والصُّرَد أيضًا: بياض يكون في الظهر من أثر الدَّبَر في موضع السَّرْج، يقال: فرس صَرِدٌ إذا كان ذلك به. والفَراشة: عَظْم ينفتّت في الرأس، وجمعها فَرَاش وهي عِظَام رِقَاقٌ طِرَاقٌ بعضُها على بعض كالفَراش، وهي أيضًا ما بين لَهَواته عند أصل لسانه، وهي في الكتفين ما شَخَص من فروع الكتفين إلى أصل العنق إلى مُسْتَوَى الظهر، والحَمامة: القَصُّ وهو من الرَّهابة إلى مُنْقَطَع أصل الفَهْدَتَيْن. والسَّمَامة وجمعها سَمَائم وسَمَام وهي ما رَقّ عن صلابة العَظْم في الوجه، والسَّمامة أيضًا: الدارة التي في سالفة العُنُق. والناهِضُ وهما ناهضان، والجمع نَواهِض وأنْهُض وهو اللحم الذي يلي العَضُدَيْن من أعلاهما المجتمع. والقَطاة: ما بين الحَجَبتين والوَرِكين، وهو مَقْعَد الرِّدْف خَلْف الفارس، والجميع قَطًا. والغُرَاب: أحد الغُرَابين وهما ملتقى أعالي الوَرِكين. والقَطَاة بينهما على العَجُز وقال قوم: إنهما فروع كَتِفي الوَرِكين السُّفْلَيين إلى الفَخِذين. والغُرَاب: ما ارتفع من أصل الذَّنَب. والحَرَب في الصدر وهو الرُّخْبيَانِ وهو أعالي غُضون الفَهْدَتَين إلى أسفل المنكبين مما يلي اللِّبَانَ. والنَّسْر وجمعه النُّسور وهو ما ارتفع عن بطن الحافر من أعلاه كأنه النَّوَى والحصى. والزُّرْق وهو في الشِّية الشعراتُ البيض في اليد أو في الرجل. والدُّخُل وهو لحم الفخذين، وأنشد: [الرجز]

إذا تَـحَـجَّـبْـن بِـزُهْـر دُخُـلُـه

والعَسُوب في الشِّيَة وهو أن تكون الغُرّة على قَصَبة الأنف أعلى من الرَّتَم منقطعة فوقه، ويقال إنه كل بياض على قصبة الأنف عَرُض أو اعتدل، ثم ينقطع قبل أن يساوي أعلى المنخُرين، وإن ارتفع على قصبة الأنف وعَرُضَ واعتدل حتى يبلغ أسفَل الخُلَيْقاء قل أو كثر ما لم يبلغ العينين. والهامة والصَّقْر.

[٤٧] [الحسن البصري يصف علي - رضي الله عنه]:

قال أبو علي: قال أبو بكر بن أبي الأزهر: حدثني البصري المسمعي قال: حدثني عبد

الملك بن مروان التيمي تيم بكر، قال: حدثنا محمد بن الفضل الأنصاري، عن سلمة بن ثابت، عن هشام بن حسان، قال: قلت للحسن البصري: يزعم الناس أنك تُبْغِض عَلِيًّا، قال: أنا أُبْغِض عليًّا! كان سَهْمًا صائبًا من مَرامي الله عز وجل، ورِبَانِيّ هذه الأمة، وذا فضلِها وشرفِها، وذا قَرابة قريبة من رسول الله ﷺ، وزوْج فاطمة الزَّهراء، وأبا الحسن والحسين، لم يكن بالسَّرُوقة لمال الله، ولا بالنَّؤومة في أمر الله، ولا بالمَلولة لِحَقِّ الله، أعْطَى القرآنَ عزائمه، وعَلِمَ ماله فيه وما عليه حتى قبضه الله إليه، ففازَ برياض مُونِقة، وأعْلام مُشْرِقة، أتدري من ذاك؟ ذاك علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

[٤٨] قال أبو علي: حدثنا أبو بكر بن دريد، قال: حدثنا أبو حاتم، عن الأصمعي؛ قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول. ولم يَقُلْه إن شاء الله بغْيا ولا تَطاوُلا.: ما رأيت أحدًا قبلي أعلم منّي. قال الأصمعي: وأنا لم أر بعد أبي عمرو أعلم منّي. قال أبو حاتم: وكان كثيرًا ما يقول لي: يا بني، إن طَفِئَتْ شَحْمة عيني هذه، ويومئ إلى عينه، لم تَرَ مثلي، وربما قال: لم تر أحدًا يَشْفِيك من هذا الحرف أو هذا البيت.

[٤٩] [المنذر بن ماء السماء وقتله عبد بني الأبرص]:

قال أبو علي: حدثنا أبو بكر بن دريد قال: أخبرنا عبد الرحمن، عن عمه قال: قال عمي سمعت يونس بن حبيب، يقول: كان المنذر بن ماء السماء جدّ النعمان بن المنذر ينادمه رجلان من العرب، خالد بن المُضَلَّل، وعمرو بن مسعود الأسديّان، وهما اللذان عناهما الشاعر بقوله: [الطويل]

ألاَ بَكَر الناعي بخَيْرَيْ بني أسدْ بعمرو بن مسعود وبالسَّيِّد الصَّمَدْ

فشرب ليلة معهما فراجعاه الكلامَ فأغضباه، فأمر بهما فَقُتِلا وجُعِلا في تابوتين، ودُفِنا بظاهر الكوفة. فلما أصبح وصَحا سأل عنهما فأُخْبِر بذلك، فَنَدِم وركب حتى وقف عليهما، فأمر ببُنْيانِ الغَرِيَّيْنِ[1]، وجعل لنفسه في كل سنة يومين: يومَ بُؤس ويومَ نعيم، فكان يَضَع سريرَه بينهما، فإذا كان في يوم نعيمه فأوّلُ من يَطْلُعُ عليه وهو على سريره يعطيه مائةً من إبل الملوك، وأول من يطلع عليه في يوم بؤسه يعطيه رأس غُرْبان، ويأمر به فَيُذْبَح ويُغَرَّى بدمه الغَرِيَّانِ، فلم يزل كذلك ما شاء الله، فبينا هو ذات يوم من أيام بؤسه إذ طلع عليه عَبِيد بن الأبرَص، فقال له المَلِكُ: ألا كان الذَّبح غيرَك يا عَبِيد! فقال عبيد: «أتَتْكَ بحائنٍ رِجْلاه» فقال له الملكُ: أو أجَلٌ قد بَلَغَ إنَاهُ؟ ثم قال: يا عبيد، أنشدني فقد كان يعجبني شعرُك، فقال: «حال الجَرِيض دون القَرِيض» و «بَلَغَ الجِزَامُ الطِّبْيَيْن» فقال أنشدني: [مخلع البسيط]

أقْفَرَ من أهلِه مَلْحُوبُ فالقُطْبِيَّات فالذَّنُوبُ

(١) الغريان: بناءان مشهوران بالكوفة ويقال هما قبر مالك وعقيل نديمي جذيمة الأبرش وسميا كذلك لأن المنذر كان يغري بهما من يقتله في يوم بؤسه. ط

فقال[1]:

أقفر من أهله عَبِيد ... فاليومَ لا يُبْدِي ولا يُعِيد
عَنَتْ له مِنَّةٌ نَكُود ... وحان لها منها وُرُود

فقال: أنشدني هَبِلَتْك أُمُّك! فقال: «المَنَايا على الحَوَايا»، فقال بعض القوم: أنشد الملكَ هبلتك أُمُّك! فقال: لا يُرَحِّلُ رَحْلَك مَنْ لَيْسَ معك»، فقال له آخر: ما أَشَدَّ جزَعَكَ من الموت! فقال: [المتقارب]

لا غَرْوَ مِن عِيشَةٍ نافِدَه ... وهل غَيْر ما مِيتَةٍ واحِده
فأَبْلِغْ بَنِيَّ وأعمامَهم ... بأنَّ المَنَايا هي الراصِده
لها مُدَّةٌ فنفوسُ العباد ... إليها وإن كَرِهَتْ قاصِده
فلا تَجْزَعُوا لِجِمام دَنا ... فَلِلْمَوتِ ما تَلِدُ الوالِده

فقال له المنذر: لابدَّ من الموت، ولو عُرِض لي أبي في هذا اليوم لم أجد بُدًّا من ذبحه، فأما إذ كنت لها وكانت لك فاخْتَرْ من ثلاث خصال: إن شئت من الأَكْحَل، وإن شئت من الأَبْجَل، وإن شئت من الوَرِيد. فقال: ثلاث خصال: مَقَادُها شَرُّ مَقَاد، وحاديها شَرُّ حاد، ولا خير فيها لمُرْتاد، فإن كنت لابدَّ قاتلي فاسقِني الخمرَ، حتى إذا ذَهِلَتْ لها ذَوَاهِلي، وماتت لها مَفَاصِلي، فشأنك وما تريد. فأمر المنذر له بحاجته من الخمر، فلما أخذت منه وقُرِّب ليُذبح أنشأ يقول: [الطويل]

وخيَّرني ذو البؤس في يوم بؤسه ... خِلالاً أرَى في كلِّها المَوْتَ قد بَرَقْ
كما خُيِّرَتْ عادٌ من الدهر مَرَّةً ... سحائبَ ما فيها لذي خِبرةٍ أَنَقْ
سحائبَ ريحٍ لم تُوَكَّل بِبَلْدَةٍ ... فَتَتْرُكَها إلا كما لَيْلَةَ الطَّلَقْ

وأمر به فَفُصِد، فلما مات طُلِي بدَمِهِ الغُرْيان.

[٥٠] [صغر المصيبة وهوانها إذا مرّت بخلاف باقي الأمور]:

وحدثنا أبو بكر، عن أبي عثمان، عن التوزي، عن أبي عبيدة؛ قال: قال حُذَيفة بن اليمان: ما خلق الله عز وجل شيئًا إلا صغيرًا ثم يَكْبَر إلا المصيبة، فإنه خَلَقها كبيرة ثم تَصْغُر.

[٥١] [قصيدة ابن الزبعري في أبناء ربيعة الثمانية]:

قال أبو علي: وحدثنا أبو بكر بن دريد قال: حدثني عمي، عن أبيه؛ قال: سئل ابن الكلبي عن قول عبد الله بن الزِّبَعْرَي: [الهزج]

ألا لِلّـ ... ـهِ قَوْمٌ و ... لَذَتْ أُخْتُ بَنِي سَهْم

---

(١) هذه الأبيات مضطربة. ونصها في «الأغاني»:

أقفر من أهله عبيد ... فاليوم بيدي ولا يعيد
عنت له منة تكود ... وحان منها له ورود

والأبيات كما وردت في «الأغاني» من مخلع البسيط. ط

قال: هي رَيْطَة بنت سعيد بن سَهْم، وكان بنوها ثمانية: هاشم بن المغيرة وكان أكبرَ القوم، وهو جدّ عمر بن الخطاب رضي اللّه تعالى عنه من قِبَل أُمّه حَنْتَمة بنت هاشم، وهشام بن المُغيرة، ومُهَاشِم وبِهْشم جميعًا واجد وهو أبو حُذَيفة، وأبو أُمَيّة ابن المغيرة وهو زاد الرَّكْب، وأبو ربيعة بن المغيرة وهو ذو الرُّمْحين جدّ عمر بن أبي ربيعة الشاعر، وعبد اللّه بن المغيرة، وخِرَاش بن المغيرة، والفاكِهُ بن المغيرة ولم يُسْلِمْ منهم غيره وهو شيخ كبير يومئذ أعمى فقال ابن الزِّبَعْرَى[1]: [الهزج]

ألا لِلّـــه قَـــوْمٌ و لَـــذتْ أُخْـــتُ بَـــنِـي سَـهْـم
هِـشَـام وأبـو عَـبْـد مَـنَـافٍ بِـذْرَةُ الـخَـضْـم
وذو الـرُّمْـحَـيْـن أشْـبَـاكَ مِـن الـقُـوَّة والـحَـزْم
يُـكِـنُّ الـقَـولَ فـي الـمَـجْـلـ ـس أو يَـنْـطِـق عـن حُـكْـم
فـهـذان يَـذُودانِ وذا مِـنْ كَـثَـبٍ يَـرْمِـي
أُسُـودٌ تَـزْدَهِـي الأقْـرا ن تَـتَّـاعُـون لـلـهَـضْـم
وهُـمْ يَـوْمَ عُـكَـاظٍ مـ ـنَـعُـوا النـاس مـن الـهَـزْم
بِـجَـأْواء طَـحُـونٍ لَـ ـجِـبٍ فـيـهـا الـقُـوْنُـسِ كـالـنُّـجُـم
فـإن أحْـلِـفْ بِـبَـيْـت الـلّـ ـه لا أحْـلِـفْ عـن إثـم[2]
مـا إن إخْـوَةٌ بَـيْـنَـ ـنَ فـصُـور الـشـام والـرُّدْم
كـأشْـبَـال بَـنِـي رَيْـطَـ ـة مـن عُـرْب ولا عُـجْـم

■■■

[٥٢] قال: وأخبرني عمي، عن أبيه، عن ابن الكلبي؛ قال: أبْعَدُ قبور إخوة على الأرض قبورُ بني أُمّ الفَضْل الهِلاليّة أم ولد العباس بن عبد المطلب: واحدٌ بالمدينة، وآخرُ بالطائف، وآخر بالشام، مات في طاعون عَمْوَاس بالشام في سلطان عمر - رضي اللّه تعالى عنه -، وعبد اللّه بن العباس الحَبْر دفن بالطائف وصلى عليه محمد بن علي - رضي اللّه تعالى عنه -، وآخر بأفريقية، وآخر بسَمَرْقَند، والفضل بن العباس رضي اللّه تعالى عنه رديف رسول اللّه ﷺ مات في طاعون عَمْواس بالشام، وعبيد اللّه بن العباس الجَوَاد مات بالمدينة، وقُثَم بن العباس شبيه النبي ﷺ مات بسَمَرْقَند زَمَنَ معاوية في إمارة سعيد بن عثمان، وعبد الرحمن بن العباس قُتِل بأفريقية زمن عمر رضي اللّه تعالى عنهم، أمهم أم الفضل الهلالية وهي لبابة بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَيْر بن الهَزْم بن رُوَيْبة بن عبد اللّه بن هلال بن عامر ابن صَعْصَعة.

---

(١) «أنساب قريش» للمصعب الزبيري (ص٣٠٠).

(٢) ويروى: لا أحلف على إثم يكون فلا أحلف. ط

[٥٣] [الخليل بن أحمد والمرأة الفصيحة وبناتها]:

قال: وأخبرنا الأشناندانى عن التوزي قال: كان للخليل بن أحمد صَديق يُكنى أبا المُعَلّى مولًى لبني يَشْكُر، وكان أصْلَع شديد الصَّلَع، فبينا هو والخليل جالسان عند قصر أوس إذ مرت بهما امرأة يقال لها أم عثمان من ولد المُغَارِك بن عثمان ومعها بناتٌ لها، فقال أبو المعلى للخليل: يا أبا عبد الرحمن، ألا نكلِّم هذه المرأة! قال: ويحك! لا تفعل، فإنهن أعدُّ شيء جوابا، والقولُ إلى مثلك يُسْرع، فجلس يَتَرَوَّحن فقال لأمهنّ: يا أمَةَ الله، ألَكِ زَوْجٌ؟ قالت: لا والله ولا لواحدة منا، قال: فهل لكُنَّ في أزواج؟ قالت: وَيْدنا والله، قال: فأنا أتزوجك ويتزوج هذا إحدى بناتك، فقالت له: أمّا أنت فقد ابتلاك الله ببلاءين: أما أحدهما فإنه قد قَرَعَ رأسك بمِسْحاةٍ، وجعل لك عِقْصَةً في قفاك بيضاء، فكأنما صارت في قفاك نُخَامة، فَبَلغ من تُوكك أنك خَضَبْتَها بحُمْرة، فلو كُنْتَ إذ ابْتُلِيت خَضَبْت بسواد غَطَّيْت عَوارَك هذا الذي أباده منك! ثم قالت له: أظنك من رَهْط الأعشى، فقال لها أبو المعلى: أنا مولى لبني يشكُر. قالت: أفتروى بيت الأعشى؟ [البسيط]

وأنكرتْني وما كان الذي نَكِرَتْ من الحَوادِث إلا الشَّيْب والصَّلَعا

فما بَقِيَ بعد هذا إلا الموتُ هُزالا. ثم التفت إلى الخليل فقالت: من أنت يا عبد الله؟ فقال: أنا الخليل بن أحمد، كُفِي شرَّ عيالك يا أمة الله! فقد والله نَهَيْته عن كلامك وحَذَّرْته هذا! قالت: أمَا إنك قد نَصَحْت له، أما علم هذا الأحمق أن النساء يَخْتَرْن من الرجال المُسْحَلانِيّ المَنْظَرانِيّ المَخْبراني، الغَليظ القَصَرة، العظيم الكَمَرة، الذي إذا طَعَن فأصاب حَفَر، وإذا أخطأ قَشَر، وإذا أخرجه عَقَر، قال: فضحك الخليل، ثم قامت المرأة ومعها بناتها يتهادَيْنَ، فتمثّل أبو المعلى بقول عمر بن أبي ربيعة المَخْزومي [مجزوء الخفيف]:

فَتَهادَيْنَ وانْصَرَفْـ ـنَ بِقَالِ الحَقَائِبِ

فقالت: يا أحمق، أما تدري ما قال الشاعر في قومك؟ قال: لا، فقالت: قال: [المتقارب]

ويَشْكُر لا تستطيع الوفاء وتُعْجِز يشكر أن تَشْكُرا

وإني أُقسم بالله لو كان لكل واحدة منا من الأخراج بعدد ما أهْدَى مالكٌ العُكْلي إلى عَمْرة بنت الحارث النُّميري، ما أعطيناك ولا صاحبكَ منها شيئًا، فقال الخليل: نَشَدْتُك بالله، كم كانت الهدية التي أهداها العكلي إلى النميرية؟ قالت له: أراك حاذقًا بالتجميش قليل الرواية للشِّعر، ثم أنشدته قول العُكْلِيّ: [الرجز]

هَدِيَّتِي أُخت بني نُمَيْر لِجَرْكِ يا عَمْرةُ ألْفُ عَيْرِ

في كل عير ألف كُرَّايِر

قال: فقال الخليل: أما إنه قد قَصَّر! أفلا جَعَل لامْتِها بعضَ الهدية ولم يَدَعْها فارغة!

قالت: قد أشفق على هديته أن تحترق، ألم تَرْوِ بيتَ جرير حيث يقول: [الوافر]

ولو وُضِعَتْ فِقَاحُ بني نُمَيْرٍ ... على خَبَثِ الحديد إذًا لَذَابا

فقال الخليل لأبي المعلى: [الوافر]

نَصَحْتُك يا محمد إنَّ نُصْحِي ... رَجِيصٌ يا رفيقي للصَّدِيق

فلم تَقْبَلْ وكم مِنْ نُصْحِ وُدّ ... أُضِيع فَحَاد عن وَضَحِ الطريقِ

قال: ثم انصرفت المرأة وبقي الخليل وأبو المعلى متعجِّبين منها ومن ذَرَابة لسانها وسرعة جوابها.

[٥٣م] [خروج هشام بن عبد مناف إلى البلاد لأخذ العهود من ملوكها لتأمين تجارتهم]:

قال أبو علي: وحدثنا أبو بكر بن دريد، قال: أخبرنا أبو حاتم، قال: حدثنا العتبي ومحمد بن سَلاَّم كلاهما قالا: كانت قريش تجارًا، وكانت تجارتهم لا تَعْدُو مكَّةَ، إنما تَقْدَم عليهم الأعاجمُ بالسِّلَع فيشترونها منهم ثم يتبايعونها بينهم ويبيعونها على من حولهم من العرب، فكانوا كذلك حتى ركب هاشم بن عبد مناف إلى الشام فنزل بقيصرَ، فكان يذبح كلَّ يوم شاةً ويصنع جَفْنةَ ثريد ويجمع من حوله فيأكلون، وكان هاشم من أجملِ الناس وأتمِّهم، فذُكِر ذلك لقيصر فقيل له: هاهنا رجل من قريش يَهْشِم الخُبزَ ثم يَصُبُّ عليه المَرَقَ ويُفْرِغ عليه اللحمَ. وإنما كانت العجم تصب المرق في الصِّحاف ثم تأتدم بالخبز، فدعا به قيصرُ، فلما رآه وكلَّمه أعجِب به، فكان يبعث إليه في كلِّ يوم فيدخل عليه ويحادثه، فلما رأى نفسَه تمكَّن عنده قال له: أيها الملك، إن قومي تِجَار العرب، فإن رأيت أن تكتب لي كتابًا تُؤمِّن تجارتَهم فيقدَموا عليك بما يُستَطرف من أدم الحجاز وثيابه فتباع عندكم فهو أرخص عليكم! فكتب له كتابَ أمان لمن يَقْدَم منهم، فأقبل هاشم بذلك الكتاب، فجعل كلَّما مرَّ بحيٍّ من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافًا. والإيلاف: أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حِلْف إنما هو أمان الطريق. وعلى أن قريشًا تحمل إليهم بضائع فيكفُونهم حُمْلانها ويؤدُّون إليهم رءوسَ أموالهم وربْحَهم، فأصلح هاشم ذلك الإيلاف بينهم وبين أهل الشام حتى قدم مكة فأتاهم بأعظم شيء أتَوا به بركة، فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج هاشم معهم يُجَوِّزهم بِوُفُيهم إيلافَهم الذي أخذ لهم من العرب حتى أوردهم الشام وأحلَّهم قُرَاها، ومات في ذلك السفر بغَزَّة، وخرج المُطَّلِب بن عبد مناف إلى اليمن فأخذ من ملوكهم عهدًا لمن تَجَر إليهم من قريش، وأخذ الإيلاف كفعل هاشم، وكان المُطَّلِب أكبر ولد عبد مناف، وكان يسمَّى الفَيْضَ وهلك برَدْمان من اليمن. وخرج عبد شمس ابن عبد مناف إلى الحبشة، فأخذ إيلافًا كفعل هاشم والمطلب، وهلك عبد شمس بمكة فقَبْرُه بالحَجُون. وخرج نوفل بن عبد مناف وكان أصغر ولد أبيه فأخذ عهدًا من كسرى لتجار قريش وإيلافًا ممن مرَّ به من العرب، ثم قَدِم مكَّةَ ورجع إلى العراق فمات

بسُلَّمان. واتسعتْ قريشٌ في التجارة في الجاهلية وثرت أموالُها، فبنو عبد مناف أعظم قريش على قريش مِنَّةً في الجاهلية والإسلام.

[٥٤][بين أبي حاتم وعبد الله بن علي بن العباس]:

قال أبو علي: حدثنا أبو بكر بن دريد، عن أبي حاتم؛ قال: لما قُتِلَ عبدُ الله بن علي بني أُميَّة بنهر أبي فُطْرُس بعث إليَّ، قال: فدخلت عليه فإذا قَتْلى مصروعين والخراسانيةُ بين يديه بأيديهم الكافر كوبات، فقال لي: ما تقول في مَخْرَجنا هذا؟ قلت: قال رسول الله ﷺ: «من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[(١)] قال: فما تقول في هؤلاء القتلى؟ قلت: ومن هؤلاء؟ قال: بنو أمية. قلت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس»[(٢)] وتشاغل عنِّي فخرجت وطلبني، فحال الله بيني وبينه إنه على كل شيء قدير.

[٥٥][ما وقع لأم عقبة بعد وفاة زوجها غيلان]:

وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو حاتم عن العتبي، قال: حدثني أبي؛ قال: اجتمعت عند خالد بن عبد الله القَسْري نقباءُ الكوفة فيهم أبو حمزة الثَّمالي، فقال خالد: حدثونا بحديث عشق ليس فيه فُحْش، فقال أبو حمزة: أصلح الله الأمير، بلغني أنه ذكر عند هشام بن عبد الملك غَدْر النساء وسَرَعة تزويجهن بعد انقضاء عدتهن، فقال هشام: إنه ليبلغني من ذلك العَجَبُ. فقال بعض جلسائه: أنا أحدثك يا أمير المؤمنين عما بلغني عن امرأة من بني يشْكُر كانت عند ابن عم لها فمات عنها بعد مسألته إياها عما تريد أن تصنع بعده، فأخذ العهود عليها في ذلك، وكان اسمه غَسَّانَ بن جَهْضَم بن العُذَافر، وكان اسم ابنة عمه أم عقبة بنت عمرو بن الأبجر، وكان لها مُحبًّا، وكانت له كذلك، فلما حضره الموت وظن أنه مفارق الدنيا قال ثلاثةَ أبيات، ثم قال: اسمعي يا أُمَّ عُقْبة ثم أجيبي، فقد تاقت نفسي إلى مسألتك عن نفسك، فقالت: والله لا أُجيبك بكذب ولا أجعله آخر حظِّي منك، فقال: [الخفيف]

أخبري بالذي تريدين بعدي ... والذي تُضْمِرين يا أُمَّ عُقْبة
تحفظيني من بعد موتي لما قد ... كان منِّي من حسن خُلُق وصُحْبة
أم تريدين ذا جمال ومال ... وأنا في التراب في سُخْنِ غُرْبة

فأجابته تقول: [الخفيف]

قد سمعتُ الذي تقول وما قد ... بانَ عمِّي تَخاف من أُمِّ عُقْبة

(١) أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).
(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

أنا من أحفظ النساء وأرعا ... ها لما قد أوْلَيْتَ من حسن صحبة
سوف أبكيك ما حييتُ بنَوْح ... ومَسرَاتٍ أقولُها وبندْبة

فلما سمع ذلك أنشأ يقول: [الخفيف]

أنا والله واثقٌ بك لكن ... احتياطًا أخاف غدر النساء
بعد موت الأزواج يا خيرَ من عُو ... شِر فارْعَي حقّي بحسن الوفاء

خلخ إنني قد رجوت أن تحفظي العهدَ فكوني إن مُتُّ عند الرجاء

ثم أخذ عليها العهود، واعتُقِل لسانه فلم ينطق بحرف حتى مات، فلم تمكُث بعده إلا قليلاً حتى خُطبت من كل وجه، ورَغِب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها، فقالت مجيبةً لهم: [الطويل]

سأحفظ غسّانًا على بُعْدِ داره ... وأرعاه حتى تَلْتَقي يوم نُحْشَر
وإنّي لفي شُغْلٍ عن الناس كلهم ... لَكُفُّوا فما مثلي بمن مات يَغْدِر
سأبكي عليه ما حييت بدَمْعة ... تَجُول على الخدّيْن مني فتَهْمِر

ولما تطاولت الأيام والليالي تناسَت عهده، ثم قالت: من مات فقد فات، فأجابت بعضَ خُطّابها فتزوجها، فلما كانت الليلة التي أراد الدخول بها فيها أتاها غسّانُ في منامها وقال: [الطويل]

غَدَرْتِ ولم تَرْعَيْ لبعلِكِ حُرمةً ... ولم تعرفي حقًّا ولم تَحفَظي عَهْدَا
ولم تَصْبِري حَوْلا حفاظًا لصاحب ... خَلَفْتِ له بَتًّا ولم تُنجزِي وَعْدَا
فدرت به لما ثَوَى في ضريحه ... كذلك يُنْسَى كلُّ من سَكَن اللَّحدَا

فلما سمعت هذه الأبيات انتبهت مرتاعة كأن غسان معها في جانب البيت، وأنكر ذلك من حضر من نسائها فأنشدتهن الأبيات، فأخذن بها في حديث يُنْسِينَها ما هي فيه، فقالت لهنّ: والله ما بقي لي في الحياة من أرَبٍ حياءٌ من غسان، فتغفّلتهن فأخذت مُدْيةً فلم يُدْرِكْنَها حتى ذبحت نفسها، فقالت امرأة منهن هذه الأبيات [المجتث]:

للّه دَرُّكِ ماذا ... لَقِيتِ من غسّانِ
قَتَلْتِ نفسَك حُزْنا ... يا خِيرَةَ النِّسْوان
وَفَيْتِ من بعدما قد ... تَمَمْتِ بالعِصْيان
وذو المعالي غَفُور ... لِسَقْطة الإنسان
إنّ الوفاء من اللّه ... لم يَزَلْ بمكان

فلما بلغ ذلك المتزوّج بها قال: ما كان فيها مُسْتَمْتَع بعد غسان، فقال هشام بن عبد الملك: هكذا والله يكون الوفاء!.

■●●

[٥٦] قال أبو بكر: وأنشدنا أبو عثمان، عن التوزي، عن أبي عبيدة لابن مَيَّادة المُرّي: [الرجز]

حمراء منها ضَخْمة المكان ... ساطعة اللَّبَّة والسِّجْران
كأنها والشَّوْلُ كالشَّنَانِ ... تَمِيسُ في خُلْقَةِ أُرجُوان
لو جاء كَلْبٌ معه كَلْبان ... أولاعِبٌ في كَفِّه دُفَّان
وزافِنَان ومُغَنِّيان ... ما بَرِحَتْ أعْظَمُها الشماني

يعني قوائمها، كما قال الآخر[1] يصف ناقة طَيِّبة النَّفْس عند الحَلْب: [الطويل]

طَوَتْ أرْبَعًا منها على ظَهْرِ أرْبَعٍ ... فَهُنَّ بمَطْوِيَّاتهنَّ ثَمَان

وكما قال الآخر[2]: [الطويل]

نَعُوسٌ لو أنَّ الدَّفَّ يُضرَب حولها ... لِتَنْحاش عن قاذورةٍ لم تُناكِرِ

[٥٧] قال أبو علي: وأنشدنا جحظة، قال: أنشدني أبو عبد الله بن حمدون[3]، عن الزبير رحمه الله: [الطويل]

هَجرتُكِ لما أن هجرتك أضْبَحَتْ ... شُمُتًا تلك العيونُ الكَواشِح
فلا يفْرَح الواشون بالهجر إنما ... تَحِلُّ المُحِبُّ الهجرَ والحَيْنُ ناصح

[٥٨] وأنشدني لأعرابي يكنى بأبي [illegible] من الكامل]

هَجَرَتْ مَشِيمةُ[4] فالفؤاد قَريح ... ودُمُوع عينك في الرِّداء سُفُوح
ولقد جرى لك يوم سَرْحة رابِغٍ ... فيما يُعَيِّف سانح وبَريح
أهْوَى الفَوادِم بالبياض مُلَمَّع ... قَلِقُ المَرَاتِع بالفراق بَصيح
حَسَنٌ إليّ حديثُ من أحببته ... وحديثُ ذي الشَّنآنِ منه قَبيح
الحُبُّ أبغَضُه إليّ سَتِيرةً ... صَرُح بذاك فراحةٌ تَضْريح

[٥٩] [لامية العرب]: وقال قال الشَّنْفَرَى: [الطويل]

أقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكم ... فإنِّي إلى أهْلٍ[5] سواكم لأمْيَلُ
فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليل مُقْمِر ... وشُدَّت لِطَيَّاتِي[6] مَطايا وأرْحُل

---

(١) تقدم في الجزء الأول أن قائل هذا البيت هو كعب بن زهير، وكذلك في «اللسان» مادة «جمع» وقد روى في هذين الموضعين:
ثنت أربعًا منها على ثني أربع ... فهن بمثنياتهن ثمان ط

(٢) بهامش الأصل أنه كعب بن زهير رضي الله عنه. ط

(٣) في نسخة: عبد الله بدون لفظ الكنية. ط

(٤) كذا هو بالشين المعجمة في نسخة وفي أخرى بالتاء المثلثة. ط

(٥) المعروف فاني إلى قوم. ط (٦) في نسخة: لطيات بغير إضافة. ط

وفي الأرض مَنْأى للكريم عن الأذى ... وفيها لِمَنْ خاف القِلَى مُتَعَزَّل
لَعَمْرُكَ ما بالأرض ضِيقٌ على امرئ ... سَرَى راغبًا أو راهبًا وهو يَعْقِل
وَلي دُونَكم أهلُون سِيدٌ عَمَلَّسٌ ... وأرْقَطُ زُهْلُول وعَرْفاءُ جَيْأل
هُمُ[1] الرَّهطُ لا مُسْتَودَع السِّر شائعٌ[2] ... لَدَيْهم ولا الجاني بما جَرَّ يُخْذَل
وكُلُّ أبِيٍّ باسِلٌ غيرَ أنني ... إذا عَرَضَتْ أولَى الطَّرائد أبْسَل
وإن مُدَّتِ الأيدِي إلى الزاد لم أكُنْ ... بأعْجَلِهم إذ أجْشَعُ القوم أعْجَل
وما ذاك إلا بَسْطَةٌ عن تَفَضُّل ... عليهم وكان الأفْضَلَ المُتَفَضِّل
وإنِّي كَفاني فَقْدَ من ليس جازيا ... بِحُسْنَى ولا في قُرْبِه مُتَعَلَّل
ثلاثةُ أصحاب فُؤادٌ مُشَيَّعٌ ... وأبْيَضُ إصْلِيتٌ وصَفْراء عَيْطَل
هَتُوف من المُلْس الجِسَان[3] يَزِينُها ... رَصائعُ قد نِيطَتْ عليها ومِعْمَل
إذا زَلَّ عنها السَّهْمُ حَثَّتْ كأنها ... مُرَزَّأةٌ ثَكْلَى[4] تَرِنُّ وتُعْوِل
ولَسْتُ بِمِهْيافٍ يُعَشِّي سَوَامَه ... مُوَكِّعةً مُقْبالُها وهي بُهَّل
ولا جُبَأً أكْهَى مُرِبٍّ بِمِرْبَدِه ... يُطالِعُها في شأنه كيف يَفْعل
ولا خالِفٍ[5] دارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ ... بِرَوْح ويَغْدُو دائِبًا يَتَكَحَّل
ولَسْتُ بِسَهْلٍ شَرُّه دونَ خَيْرِه ... ألَفٌ إذا ما رُعْتَه اهتاج أعْزَل
ولست بِمِخْيار الظَّلام إذا نَحَتْ ... هُدَى الهَوْجَل العِسِّيف يَهْمَاءُ هَوْجَل
إذا الأمْعَزُ الصَّوَّان لاقَى مَنايِعي ... تَطايَرَ منه قادِحٌ ومُفَلَّل
أدِيمُ بِطالَ الجوع حتى أُمِيتَه ... وأضرِب عنه الذِّكْرَ صَفْحًا فأذْهَل
وأسْتَفُّ تُرْبَ الأرض كَيْ لا يَرَى له ... عَلَيَّ من الطَّوْل امرؤ مُتَطَوِّل
ولولا اجْتِنابُ الذَّام لم يَبْقَ مَشْرَبٌ ... يُعاشُ به إلاَّ لَدَيَّ ومَأكل
ولكنَّ نَفْسًا حُرَّةً لا تُقِيم بي ... على الضَّيْم إلاَّ رَيْثَ ما أتَحَوَّل
وأطْوِي على الخُمْصِ الحَوَايا كما انْطَوَتْ ... خُيُوطَةُ ماريٍّ تُغارُ وتُفْتَل
وأغْدُو على القُوت الزَّهِيد كما غدا ... أزَلُّ نَهَّاد التَّنائِف أطْحَل
هِدًا طاوِيًا يُعارِض الرِّيحَ هافيا ... بَخُوت بأذناب الشِّعاب ويَعْسِل
فَلَمَّا لَواه القُوت من حيث أمَّهُ ... دعا فأجابَتْه نَظائرُ تُحْفَل

---

(١) في نسخة: هم الأهل. ط (٢) في نسخة: ذائع. ط
(٣) في نسخة: المتون. ط (٤) في نسخة: عجلى. ط
(٥) في نسخة زيادة بيت قبله وعليها شرح الزمخشري وهو:
ولا خَرِقٍ هَيْقٍ كأن فُؤادَه ... يُظَلُّ به المُكَّاءُ يعلو ويَسْفُل ط

مُهَلْهَلَةٌ شِيبُ الوُجُوهِ كأنها ... قِدَاحٌ بكَفَّيْ يَاسِرٍ تَتَقَلْقَلُ
أو الخَشْرَمُ المَبْثُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَه ... سَحَابِيضُ رَدَّاهُنَّ سامٌ[1] مُعَسَّلُ
مُهَرْئِسَةٌ فُوهٌ كأنَّ شُدُوقَها ... شُقُوقُ العِصِيِّ كالحَاتٌ وبُسَّلُ
فَضَجَّ وضَجَّتْ بالبَرَاحِ كأنَّها ... وإياهُ نُوحٌ فوقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ
وأغْضَى وأغضَتْ وأتَّسَى وأتَتْ به ... أرامِلُ عَزَّاهَا وعَزَّتْه أرْمَلُ
شَكَا وشَكَتْ ثم ارْعَوَى بعدُ وارْعَوَتْ ... وللصَّبْرُ إن لم يَنْفَعِ الشَّكْوُ أجْمَلُ
وفاءَ وفاءَتْ بادراتٍ وكُلُّها ... على نَكَظٍ مما يُكابِدُ مُجْمِلُ
وتَشْرَبُ أسْآرِي القَطَا الكُدْرُ بعدما ... سَرَتْ قَرَبًا أحْشَاؤُها تَتَصَلْصَلُ
هَمَمْتُ وهَمَّتْ وابْتَدَرْنا واسْدَلَّتْ ... وثَمَّرَ مِنِّي فارِطٌ مُتَمَهِّلُ
فَوَلَّيْتُ عنها وهي تَكْبُو لِعُقْرِه ... يُبَاشِرُ منها ذُفَّرَى وخَوَاصِلُ
كأنَّ وَغَاها حَجْرَتَيْه وحَوْلَه ... أضَابِيمُ من سُفْلَى[2] القَبائلِ نُزَّلُ
تَوافَيْنَ من شَتَّى إليه فَضَمَّها ... كما ضَمَّ أذوادَ الأَصَاريمِ مَنْهَلُ
فَعَبَّتْ غِشَاشًا ثم مِرْتُ كُفَيْهَا ... مِنَ الصُّبْحِ رَكْبٌ من أُحَاظَةَ مُجْفِلُ
وأَلْفُ وَجْهَةَ الأرضِ عند انتِراشِها ... بأهْدَأَ نُبْيِهِ سَنَاسِنُ قُحَّلُ
وأعْدِلُ منحُوضًا كأنَّ فُصُوصَه ... جُعَابُ دَحَاها لاعِبٌ فَهْيَ مُثَّلُ
فإن تَبْتَئِسْ بالشَّنْفَرَى أمُّ قَعْطَلٍ ... لَمَا اغْتَبَطَتْ بالشَّنْفَرِي قَبْلُ أطْوَلُ
طَرِيدُ جِنَاياتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَه ... عَقِيرَتُه لأيِّها حُمَّ أوَّلُ
تَبِيتُ[3] إذا ما نامَ بِقْظَى عُيُونُها ... جِثَاثًا إلى مَكْرُوهِه تَتَغَلْغَلُ
وأَلْفُ هُمُومٍ ما تَزَالُ تَعُودُه ... عِيَادًا كَحُمَّى الرَّبْعِ أو هِيَ أثْقَلُ
إذا وَرَدَتْ أصْدَرْتُها ثم إنَّها ... تَثُوبُ فَتَأْتِي من تُحَيْتٍ ومِنْ عَلُ
فإمَّا تَرَيْنِي كابْنَةِ الرَّمْلِ ضَاحِيًا ... على رِقْبَةٍ[4] أخْفَى ولا أتَنَعَّلُ
فإنِّي لِمَوْلَى الصَّبْرِ أجْتَابُ بَزَّه ... على مِثْلِ قَلْبِ السِّمْعِ والحَزْمُ أفْعَلُ

---

(١) الذي في النسخة التي شرح عليها الزمخشري: أرداهن سام، وقال: أرداهن: أنزلهن. وسام، مرتفع وفي «اللسان»: شار وقال أراد بالشاري الشائر فقلبه. ط

(٢) كذا بالأصل بصيغة تأنيث الأسفل وفي نسخة الزمخشري سفر بالراء بعد الفاء بوزن صحب وقسره بالمسافرين. ط

(٣) في رواية الزمخشري تنام، أي: تنام جنايات الشنفري متيقظة عيونها إذا نام هو. ط

(٤) في رواية الزمخشري: على رقة بغير موحدة بعد القاف وقال: يعني رقة حال. وفي هامش الأصل هنا ما نصه: قلت قال أبو الصخر الهذلي:

لنقضي هم النفس في غير رقبة ... ويغرق من نخشى نميمته البحر ط

وأُعْدِم أحيانًا وأغنَى وإنما ... يَنَالُ الغِنَى ذو البُعْدة المُتَبَذِّل
فلا جَزِعٌ لخُلَّةٍ مُتَكَشِّف ... ولا مَرِحٌ تحت الغِنَى أتَخَيَّل
ولا تَزْدَهِي الأجْهالُ حِلْمِي ولا أرى ... سَئولا بأعقاب الأحاديث أثْيل
وليلةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّها ... وأقْطَعُه اللاتي بها يَتَنَبَّل
دَعَسْت على بَغْشٍ وغَطْشٍ وصُحْبَتي ... سُعسارٌ وإرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وأكْحَل
فأيْمَنْتُ بَسْوانًا وأيْسَرْتُ إلْدةً ... وعُدْتُ كما أبداكَ واللَّيْلُ أليَل
فأصْبَح عَنِّي بالغُمَيْصاء جالسًا ... فَرِيقَان تَسْئولٌ وآخَرُ يَسْأل
فقالوا لقد هَرَّتْ بلَيْلٍ كِلابُنا ... فقلت أذِئْبٌ عَسَّ أم عَسَّ فَرْعَل
فلم يَكُ إلا نَبْأةٌ ثم هَوْمَةٌ ... فَقُلْنا قَطاةٌ رِيعَ أم رِيعَ أجْدَل
فإن يَكُ مِنْ جِنٍّ لأبْرَحُ طارقًا ... وإن يَكُ إنْسًا ماكَهَا الإنْسُ يَفْعَل
ويَوْمٍ من الشِّعْرَى يَذُوب لُعابُه ... أفَاعِيه من رَمْضائه تَتَمَلْمَل
نَصَبْتُ له وَجْهِي ولا كِنَّ دُونَه ... ولا سِتْرَ إلاَّ الأثْحَبِيُّ المُرَفْبَل
وضافٍ إذا هَبَّت له الرِّيحُ طَيَّرَتْ ... لَبَائِدَ عن أعْطافه ما تُرَجَّل
بعِيدٌ بمَسِّ الدُّهْن والغَسْلِ عَهْدُه ... له فَتَرَى عافٍ من الغَسْل مُخْوِل
وخَرْقٍ كظَهْر التُّرْس قَفْرٍ قَطَعْتُه ... بمَامِلَتَيْن ظَهْرُه ليس يُعْمَل
فألْحَقْت أولاه بأُخْراه مُوفِيًا ... على قُنَّةٍ أُقْعِي مِرارًا وأمْثُل
تَرُودُ الأرَاوِي الصُّحْمُ دوني كأنَّها ... عَذارَى عليهِنَّ المُلاءُ المُذَيَّل
ويَرْكُدْن بالأصال حَوْلِي كأنَّني ... من العُصْم أدْفَى يَلْتَحِي الكِيحَ أعْقَل

[٦٠] [قصيدة لجرير بن الغوث]:

وأنشد لجرير بن الغوث أحد بني كنانة بن القين مُخَضْرَم: [الكامل]

طَرَقَتْ سَوِيَّةُ من بَعِيدٍ بعدما ... كادت جِبالُكِ يا سَوِيُّ تَقَطَّب
جاءت تَمايَلُ في المَطارف بادِنًا ... والخَطْوُ مُنْقَطِعُ المَطَا مُتَهَيِّب
فسألْتُها أنَّى اهْتَدَتْ لِرِحالِنا ... أم كَيْفَ أبْكَ طَيْفُها المتأوِّب
فَثَنَتْ بسالِفةٍ كأنَّ سُمُوطَها ... في جِيدِ أكْفَةِ الرياض تَقَرَّب
وتَبَسَّمَتْ بفَمٍ شَنِيبٍ نَبْتُه ... كالأُقْحُوان له نَدًى يَتَصَبَّب
عَذْبِ الرُّضاب لو أنه يُشْفَى به ... وَصِبٌ لأذْرَكَ شَكْوه المُتَوَصِّب
نَظَرَتْ إليك من الطِّراف كأنما ... يَغْطُو لصوتك شادِنٌ مُتَرَبِّب
عجبًا لِتِيلِكَ نَظْرَةً ولَراقِبٍ ... غَيْرانَ يُرْهِبُه الوعيدُ فيَرْهَب
نَظَرَتْ فكاد يُشابُ شَرٌّ بيننا ... ولَرُبَّما يَجْنِي الدَّلالُ ويَأْثِب

اخْتَرْتُ عن خُبْرٍ يزيد فَضَائَني ... همّي فكان إلى يزيد المَرْغَب
فإليْكَ تُخْتَضَعُ المَطِيُّ كأنّها ... عُوجُ القِسِيِّ الماسِخِيَّة تُشْسَب
وَرَدَتْ نِطافَ فلم تَجِدْ بَلَلاً بها ... قد كان أذهبه سَمُومٌ صَيْهَب
حتى دُفِعْنَ إلى يزيد ولم يكن ... لِيَروع طالبَه السَّنِيحُ الأعْضَب
بَعَثَ البَشِير وكان وُلْدَ بَلِيلةٍ ... مَيْمونةٍ ولِقَاه يومٌ طَيِّب
فَدعَا له الخُلَفَاء لما بُشِّرُوا ... كيما يُرَى قمرا يُنِير ويُحْجَب
مَلِكًا فلم تُرَ غير عامٍ واحدٍ ... حتّى مَضَتْ لك شُرْطَتانِ ومَوْكِب
شَرِبَتْ قُرَيْشٌ سُؤْرَه ورَضُوا به ... ورَجَوا مَنازِلَهُ العُلَى فَتَذَبْذَبوا
لك فَوْقَ مَنْ يَطَأُ الحَصى أُكْرُومَةٌ ... فاْفْخَرْ بفَضْلٍ يا يزيد يُغَلَّب
بَيْتَانِ قد فَرَعا البيوتَ بناهما ... أبواك حيثُ تُنْجِب المُتَنَجِّب
ما مِثْلُ أُمِّكما التي ولَدَتْكُما ... أم ولا كأبيكُما مَلِكًا أب
نَزَلا بكم وَسْطَ السماء فلم يكن ... مِثْل الّذي نَزَلا منازِل تُطْلَب
هَدَمَ الحُصونَ من المَدُوِّ وجِئْتَه ... بالأمْن مُرْتَفِع المَنَاكِب مُصْعَب
أُفُقٌ تُرَى رايتُه مِنْ فَوْقِه ... كالطَّيْر تَخْتَلِفُ مَرَّةً وتَقَلَّب

[٦١] قال أبو علي: قال لي أبو بكر بن دريد يقال: ألاح الرجلُ على الرجل يُلِيح إذا جَزِع عليه وأنشد: [الطويل]

وقد رابني مِنْ صاحبي أنّ صاحبي ... يُلِيح على قُرْصِي ويَبْكِي على جُمَل
فلو كنتُ عُذْرِيَّ العَلاقة لم تَبِتْ ... بَطِينًا وأنساك الهوى شدّة الأكل[1]

قال: إنما قال[2] عذري الهوى؛ لأن العشق في بني عُذْرة كثير. ويُلِيح: يذْهَب به، ويُلِيح: يُشْفِق.

قال ويقال: أشْبَاك بفلان، كما يقال: حَسْبُك بفلان، وأنشد: [الهزج]

وذو الرَّحْمَنِ أشْبَاكَ ... مِن القُوَّة والعَزْم

قال ويقال: بَسْلٌ في معنى آمين، يَحْلِف الرجل ثم يقول: بَسْلٌ. والبَغْزُ بالزاي: النشاط للإبل، قال الشاعر: [البسيط]

تَخَال باغِزَها بالليل مجنونا

---

(١) أوردها المبرد في «الكامل» بلفظ:

وقد ابني من ذعلم أن زعلما ... يشد على خبز ويبكي على جملِ
فلو كنت عندي العلاقة لم تكن ... مينا وأنساك الهوى كثرة الأكل

ونسبه لأعرابي «الكامل» (٦٩١).

(٢) كذا بالأصل والذي وقع في الشعر قبله عذري العلاقة. ط

والجِنْجُ: الأصل، يقال: فلان في جِنْج صِدْقٍ أي: في أصل كَرَم. والدُّغْبُوب: الطريق الدارس، وأنشد: [البسيط]

وكلُّ[1] قومٍ وإن طالت سَلامَتُهم يومًا طَرِيقُهم في الشَّرِّ دُغْبُوب[2]

والدُّغْبُوب: حَبٌّ أسود يُخْتَبَزُ في الجَدْب. وقالوا: رَجُل دُغْبوب أي: ضعيف. والدُّغْبُوب: نَمْلٌ. ويقال: حَضَنَهُم بمعنى مَنَعَهم. قال: وقالت الأنصار يوم السَّقيفة: أنْحَضَن عن هذا.

[٦٣] وأنشد أبو علي قال: قال أنشدني ابن الأعرابي لمحمد بن وُهَيْب: [الطويل]

إذا اخْتَلَجَتْ عيني رأتْ من تُحِبُّه فَدامَ لعيني ما حَيِيتُ اخْتِلاجُها
وما ذُقْتُ كأسًا مُذْ تَعلَّقَني الهوَى فأشْرَبُها إلا ودمعي مِزاجُها

[٦٤] وأنشد لأبي بكر بن دريد: [الكامل]

لو أنَّ قَلْبًا ذاب من كَمَدٍ ما كان بينَ ضلوعه قَلْبُ
لو كُنْتَ صَبًّا أو تُسِيرُ هوًى لَعَلِمْتَ ما يتَجرَّع الصَّبُّ
يَهْوَى اقتسارَك وهو قاتِلُه وهَواهُ وشِفاؤه القُرْب

[٦٥] وأنشد له: [البسيط]

صُدْغٌ كقادِمَةِ الخُطَّافِ مُنْعَطِفٌ تَحْتَ [illegible] من صَحْنِها الوَرْدُ
لو ذاب من نَظَرٍ حُسْدٌ لِسِرْقَتِه لذاب من لَحْظِ عيني ذلك الخَدُّ

[٦٦] [ضبط أسماء متشابهة]: قال أبو بكر بن دريد: قال أبو غَسَّان المِهْزَمِيّ: قال الأصمعي: السَّدُوس بفتح السين: الطَّيْلَسان. والسدوس بضم السين: اسم القبيلة. قال: وخالفه سيبويه في الطيلسان بالضم وفي القبيلة بالفتح، فحكيت ذلك لأحمد بن يحيى، فقال: القول ما قال الأصمعي. ويقال: كل ما في العرب عُدَس بضم العين وفتح الدال إلا عُدُس بن زيد فإنه بضمهما. وكل ما في العرب سَدُوس بفتح السين إلا سُدُوس ابن أصْمع في طيء. وكل ما في العرب فُرَافِصة بضم الفاء إلا فَرَافِصة أبا نائلة امرأة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه. وكل ما في العرب أسْلَم بفتح الهمزة واللام إلا أسْلُم بن الحاف بن قُضَاعة. وكل ما في العرب مِلْكان بكسر الميم إلا مَلْكان في جَرْم بن رَبّان.

[٦٧] [الوليد بن مسعدة يصف عودًا]:

قال: وحدثنا أبو سعيد السكري قال: أُتِيَ عبدُ الملك بعُودٍ، فقال للوليد بن مَسْعَدة

---

(١) البيت لابن هرمة كما في «اللسان» مادة «دعب» وفي أشعار الهذليين أنه لجنوب أخت عمرو ذي الكلب راجع: أشعار الهذليين طبع لندن (ص٢٤١). ط

(٢) هكذا في الأصل وعبارة «اللسان»: والدعبوب: الطريق المذلل «الموطأ» الواضح الذي يسلكه الناس، قالت جنوب الهذلية: وكل قوم وإن عزوا وإن كثروا إلخ اهـ. ط

الفزاري: ما هذا؟ قال: عُودٌ يُشَقَّق ثم يرقّق ثم يُعَلَّق عليه أوتار يُضرَب بها فتَضرِب الكرام برؤوسها الحيطان، وامرأته طالق إن كان أحد في المجلس إلا ويَعْلَمُ منه مثل ما أعلم، أنت أوّلهم يا أمير المؤمنين.

●●●

[٦٨] وقال سَلَامة بن جَندل: [البسيط]

لَيس بأشفَى ولا أُفتَى ولا سَبِلٍ ... يُعطَى دَواء قَفِيُّ السَّكْن مَرْبوب

الأشفَى: الخَفِيف الناصية، والاسم منه السَّفَا مقصور، والفعل سَفِيَ يَسْفَى سَفًا مثل عمِي يَعْمَى عَمًى، والسَّفَاء ممدود من الطَّيْش والجهل، وكذلك من الخِفَّة.

[٦٩][قصيدة كَثُر مدعوها]:

قال أبو علي: قال أبو بكر بن دريد، قال: أبو عثمان الأشناندانى: كَثُر مُدَّعُو هذه القصيدة، فما أدري لمن هي، وكان أبو عبيدة يصححها لمُلَيْل بن الحَجّاج الهُجَيْمي، وهي هذه: [البسيط]

أمّا القَطاة فإنّي سَوْفَ أتبَعُها ... لَعَلَّها يوافق نَعْتِي بعضَ ما فيها

سَكّاء مَخطُومة في رِيشِها طَرَقٌ ... سُودٌ قَوادِمُها صُفْر خَوَافِيها

تَنْفَاض صُفْرًا بأنحُوصٍ بِقُنَّتِها ... يَكَادُ يأزِي على الدُّغْمُوص آزِيها

تَسْقِي زَوِيَّيْن بالمَوْماة قُوتَهُما ... في ثُغْرة النَّحْر من أعلى تَرَاقِيها

كأن مَجْلُوزة قُدّام جُؤجُؤها ... أو جِرْوَ خَنْظَلة لم يَعْدُ وَاعِيها

تَشْتَقُّ في حِيكٍ لم تَنْفُذْ مُصعَدة ... ولم تُصَوِّب إلى أدنى مَهَاوِيها

حتى إذا اسْتَأْنَيا للوقت واحْتُضِرت ... تَجَرَّسا الوحْي منها عند غاشِيها

فَرفَعا من شُئُونٍ غَيْرِ زاكِيَةٍ ... على لَدِيذَيْ أعالي المَهْدِ ألْجِيها

مَدّا إليها بأقواهٍ مُيَسَّرة ... صُغْرًا لِيَسْتَنْزِلاها الرِّزقَ مِنْ فيها

كأنّها حِينَ مَدّاها لِرِزْقِهما ... طَلَى بَواطِنِها بالوَرْس طالِيها

حَتَّيْن رَضّا رَفَاضَ القَيْضِ عن زَغَبٍ ... وُرْقٍ أسافِلُها بِيضٍ أعالِيها

تَرأدا حِينَ قاما ثُمَّتَ اخْتَطَيا ... على نَحَائِفَ مَيّادٍ مَجَانِيها

تَكاد مِنْ لِينها تَنْشَاد أسْؤُقُها ... تَأوُّد الرِّئْل لم تَعْرُد نَوَامِيها

لا أشْتَكِي نَوْشَةَ الأيّام مِنْ وَرَقِي ... إلا إلى من أرى أن سوف يُشْكِيها

لِدَلْهَمٍ مَأثُرات قد عُرِفْنَ له ... إنَّ المآثِرَ مَعْدُودٌ مَساعِيها

تَنْمِي به من بَنِي لأيٍ دَعائِمُها ... ومن جُمانة لم تُخْضَع سَوَارِيها

يَبْنِي له في بيوت المَجْد والِدُه ... وليْسَ من ليس يَبْنِيها كَبانِيها

[٧٠] [مبحث في لاجرم]:

قال أبو علي: حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم، قال: ذهب بعضهم إلى أن لاجَرَمَ أصله تبرئة ونفي بمنزلة لابُدَّ ولا مَحَالة، ثم نُقِل عن التبرئة إلى القَسَم كما قالوا: لأقُومنَّ حقًّا يقينًا، ثم قدموا حقًّا فجعلوه قسمًا فقالوا: حقًّا لأزورَنَّك. وجَرَم اسم منصوب بلا على التبرئة، ولا خَبَرَها هنا للتبرئة إذ لم يُقْصَد لها، إنما قُصِد للإقسام والحَلِف، وإلى هذا القول ذهب الفراء وأصحابه. وفيه جواب آخر وهو أن أصله فعل ماض فحوّل عن طريق الفعل ومنع التصرف فلم يكن له مُسْتَقْبل ولا دائمٌ ولا مصدر، وجُعِل مع لا قَسَما، وتركت الميم على فتحها الذي كان لها في معنى المضى، وإن كان الحرف منقولاً إلى الأداة، كما نقلوا حاشي وهو فعل ماض مستقبله يُحاشي ودائمه مُحَاشٍ ومصدره مُحاشاة من باب الأفعال إلى باب الأدوات لَمَّا أزالوه عن التصرف، فقالوا: قام القوم حاشا عبْدِ اللَّه فخفضوا به، ولو كان فعلاً ما عَمِل خَفْضًا وأبقوا عليه لفظ الفعل الماضي، وكما نقلوا ليس وأصلها الفعل الماضي عن أصلها إلى سبيل الأدوات لما أزالوها عن التصريف وخروج المصدر منها فأقَرُّوا آخرها على أمرها الأول. فإن قيل: كيف تكون لا جرم قسما وليس فيه مُعَظَّم يُقْسَم به، قيل: إن الإقسام عند العرب على ضربين أحدهما يقع الإقسام فيه بما يَجِلُّ قَدْرُه وتعلو منزلته، وهو الذي تسبق إليه الأفهام، ويستعمل في أكثر الكلام حين يقول القائل: والإلهي لأفعلَنَّ ذلك، وكقيل العرب في الجاهلية: والرَّحِم لأفعلَنَّ، والمشيرةِ لأفعلَنَّ حقك، وهو مكروه عند أهل العلم؛ لأنه لا ينبغي أن يَحْلِف حالف بغير اللَّه تبارك وتعالى. والضرب الثاني أن يعتقد الحالف اليمينَ والحَلِف بالعظيم عندهم الكبير في نفسه، ثم يأتي ببدل منه، فيقول: حَلِفًا صادقًا لأزورنَّك، فجعل حلفًا صادقًا مكتفى به عن المحلوف به عند وضوح المعنى، ولو أظهر اليمين ولم يَبْنِ على الاكتفاء والاختصار لقال: أحْلِف باللَّه حَلِفًا صادقًا، ولهذه العلة أقْسَمُوا بالحقِّ، فقالوا: حقًا لأفعلن ذلك إذ جعلوه عوضًا من اليمين، وحَمَوا على الحق ألفاظًا معناهم فيها كمعناه، فقالوا: كلاَّ لأُطِيعَنَّك، يعنون حقًا. وقالت الفُصَحاء: جَيْرِ لأفعلَنَّ، وعَوْضُ لأجْلِسَنَّ، يعنون بتينك اللفظتين حقًا، فاحْتَمَلَتْ لاجرم من معنى الإقسام مثلَ الذي احتملت كَلاَّ وجَيْرِ وعَوْضُ. قال أعشى بكر: [الطويل]

رَضِيعَيْ لِبانِ ثَدْيِ أُمٍ تَحَالَفَا ... بِأَسْحَمَ داجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّق

وقال الآخر[1]: [الطويل]

وقُلْنَ على الفِرْدَوْسِ أوَّلُ مَشْرَبٍ ... أجَلْ جَيْرِ إن كانت أُبِيحَتْ دَعَائِرُهْ

---

(١) هو المضرّ بن ربعي، راجع شواهد مغني اللبيب طبع مطبعة محمد أفندي مصطفى (ص١٢٥). ط

(٢) أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٤٧٨) وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٥٩٥) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٢٤٤) و«المجمع» (٨/ ٢٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٠٣).

قال أبو بكر: دعائره يعني: حِياضا. وقال الكميت: [الطويل]

أسلم ما تأتي به من عداوةٍ ويُغضِ لهم لا جير بل هو أشجب

وقال الآخر [رجز]:

إن الذي أغناك يُغْنِيني جَبَر واللّه نَفّاح اليَدَيْن بالخَيْر

وقا الآخر: [الرجز]

جامعُ قد أسْمَعْتَ من تَدْعُو جَبَر ولا يُنادِي جامعٌ إلى خَيْر

وقال الآخر: [البسيط]

كَلّا زَعَمْتُمْ بأنّا لا نُقاتِلُكم إنّا لأمثالكم يا قَوْمَنا قُتُل

أراد: حَقًا زعمتم، والراء في جير مكسورة، والضاد في عوض مضمومة. ومن العرب من يغيّر لفظ جَرَم مع لا خاصة لتحوّلها عن لفظ الفعل، فيقول بعضهم: لا جُرْمَ بضم الجيم وسكون الراء، ويقول آخرون: لاجَرَ بفتح الجيم والراء وحذف الميم، ويقال: الذا جَرَم ولا ذَا جَرَ بغير ميم، ولا أن ذا جَرَم ولا عَنْ ذا جَرَم. ومعنى اللغات كلها حَقًا. وأنشد الفراء هذا البيت وبعض الثاني: [الرجز]

لأهْدِرَنْ اليومَ هَدْرًا صادِقا هَدْرَ المُعَنّى ذي الشَّقاشِقِ الْلَهَمْ

إنْ كِلابًا وإلِّذِي لاذا جَسَرْ

[٧١] [في الحسد]:

قال أبو علي: وحدثنا أبو بكر، قال: قال يحيى بن خالد: الحَسُود عَدُوٌّ مَهِين، لا يُدْرِك وِتْره، ولا يَنَال ثأْره إلا بالمُنَى.

قال وقال عبد الملك بن مروان للحجاج بن يوسف الثقفي: إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عَيْب نفسه، فَعِبْ نَفْسَك. قال: أعْفِني يا أمير المؤمنين. قال: لَتَفْعَلَنّ. قال: أنا لجُوجٌ حَسُود حَقُود، فقال عبد الملك: ما في الشيطان شيء شرٌّ مما ذكرتَ.

وقال الأحنف بن قيس: المَلُول ليس له وَفاء، والكَذّاب ليست له حِيلَة، والحَسُود ليست له راحة، والبخيل ليست له مُرُوءة، ولا يَسُودُ سَيِّئ الخُلُق.

[٧٢] [المشورة]:

قال: وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «رَأْسُ العقل الإيمانُ بالله والتودُّدُ إلى الناس وما استغْنَى رجل استبدَّ برأيه ولم يَهْلِك أحدٌ عن مَشُورة وإذا أراد الله بعبد هلَكةً كان أوّلَ ما يُهْلِكه رَأْيُه»[1].

وكان يقال: لا ظَهِير أوْثَق من المَشُورة.

قال: وسئل رسول الله ﷺ: ما الحَزْم؟ فقال: «أن تستشير ذا الرّأي وتُطِيعَ أمره».

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٠٤ - ٣٠٦).

وقال أعرابي: ما غُبِنْتُ قَطُّ حتى يُغْبَن قومي. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا أفعل شيئًا حتى أُشاورهم.

[٧٣] قال: وأنشدنا محمد بن يزيد النحوي في الحُمّى: [المتقارب]

تَسَمَّيْتُ باسم سواها لها ... كأنَّ لَيْس لي باسْمِها خِبْرَه
فَطَوْرًا أُلَقِّبُها سُخْنَةً ... وطَوْرًا أُلَقِّبُها فَتْرَه
ويَزْبُو الطِّحال إذا ما أَكَلْتُ ... فَيَغْلُوا الثَّرائِبَ والصُّدْرَه
كأنِّي إذا رُحْتُ من مَنْزِلي ... لَبِسْتُ الثِّيابَ على زُكْرَه

●●●

[٧٤] قال: وحدثنا الزبير، قال: حدثنا إبراهيم بن منذر، عن مطرف بن عبد الله بن خويلد الهُذَلي، عن أبيه، عن جده؛ قال: بَيْنا أنا وأبي نطوف بالبيت، إذا نحن بعجوز كبيرة تضرب أحد لَحْيَيْها بالآخر، أقبح عجوز رأيتُها قطُّ، فقال لي: يا بني، أتعرف هذه؟ قلت: ومن هذه؟ قال: هذه التي يقول فيها الشاعر: [البسيط]

سَلَّام لَيْتَ لسانًا تَسْطِعِينَ بِهِ ... قَبْلَ الذي نالَنِي مِنْ قِيلِه قُطِعا
أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعُني ... حتى إذا قلت هذا صادق نَزَعا
يَلُومني فيك أقوام أُجالِسُهم ... فما أُبالي أطارَ اللَّوْمُ أم وَقَعا

[٧٥] قال: وأنشدنا الزبير: [الطويل]

فلو كان يَسْتَغْنِي عن الشُّكر ماجد ... لِعِزَّةِ مَجْدٍ أو عُلُوِّ مكان
لما أمَرَ اللَّهُ العبادَ بشُكْرِهِ ... فقال اشْكُرُوا لي أيُّها الثَّقَلان

[٧٦] [مكارم الأخلاق، وإكرام صديق الوالد والضيف، والوصية بالعشيرة، والعدل، والصدق، وترك الجهالة، وقبول النصيحة]:

قال: وأنشدني الرياشي، قال: أنشدنيها تمام للحارث بن عباس بن مرداس السُّلَمي يوصي ابنه - رضي الله تعالى عنهما -: [الكامل]

احْفَظْ بُنَيَّ وصِيَّةً أُوصِيكَها ... إن كُنْتَ تُؤْمِن بالكتاب المُنْزَل
أكرِم خَلِيلَ أبيك حَيْثُ لَقِيتَه ... ولقد عَقَقْتَ أباك إن لم تَفْعَل
والجارَ أكرِم جارَ بَيْتِك ما دنا ... حتى يبين ثَوَاءكم في المَنْزِل
والضَّيْفَ إنَّ له عليك وَسِيلَةً ... لا يَثْرُكَنَّك ضَحْكَةً للمُنْزِل
ورَفِيقَ رَحْلِك لا تُجَهِّل إنما ... جَهْلُ الرَّفِيق على الرفيق المُبْطِل
واشْفَعْ بخَصْمِك إنَّ خصمك مُشْفَعٌ ... وإذا عَلَوْتَ على الخُصوم فأجْمِل
واسْتَوْصِ خيرًا بالعشيرة كلها ... ما حَمَّلوك من المَثَاقِل فاحْمِل

يَصِلوا جناحك يا بُنَيَّ وإنما ... يَعلُو الشَّواهقَ ذو الجَناح الأجْدَل
إن امرأ لا يَستَبِدُّ بِرأيه ... لِرِجالِ آخَرَ غَيرِهِ كالأعزَل
وإذا أتتك عِضابةٌ في شُبْهةٍ ... يتحاكمون إليك يومًا فاعْدِل
واصْدُقْ إذا حَدَّثتَ يومًا معشرًا ... وإذا عَبِيتَ بأصْلِ علمٍ فاسأل
وذَرِ المجاهلَ إنها مَشْئومة ... وإنِ امرؤٌ أهْدَى النَّصيحةَ فاقْبَل

[٧٧] قال أبو بكر: وحدثنا أبو زيد عمر بن شَبَّة قال: حدثني الباهلي قال: حدثنا الهيثم بن عدي، عن مجالد وابن عياش، عن الشعبي قال: لما انْهَزَم ابن الأشْعَث ضاقت بي الأرض، وكَرِهْتُ ترك عيالي وولَدِي، فَلقِيت يزيدَ بن مُسْلِم، وكان لي صديقًا، وكانت الصداقة تنفع عنده، فقلت له: قد عَرَفْت الحال بيني وبينك، وقد صِرْنا إلى ما ترى. قال: يا أبا عمرو، إن الحجاج لا يُكْذَب ولا يُمْوَى ولا يُلْبَح، ولكن قُمْ بين يديه وأقِرَّ بذَنبِك واسْتَشْهِدْني على ما شئت. قال: فوالله ما شَعَرَ الحجاج إلا وأنا ماثِلٌ بين يديه، فقال: أعامر؟ قلت: نعم، أصلح الله الأمير. قال: ألم أقدَم العِراقَ فأحْسَنْتُ إليك وأدْنَيْتُك وأوْفَدْتُك على أمير المؤمنين واسْتَشْرَتُك؟ قلت: بلى أيها الأمير. قال: فأين كنت من هذه الفتنة؟ قلت: استَشْعَرَنا الخوفَ، واكْتَنَفَتْنا الحَزَنُ، والحَزَنُ بنا المَنْزِلُ، وأوْحَشَ بنا الجَنابُ، وفَقَدْنا صالح الإخوان، وشمِلَتْنا فتنةٌ لم يكن قبلها مثلها ولا فجرة أقْوِياء، وهذا يزيد بن أبي مسلم قد كان يعرف عُذرِي، وكنت أكتب إليه. فقال: صدَق، أصلح الله الأمير، قد كان يكتب إليّ بعذره ويخبرني بحاله. فقال الحجاج: فهذا الأحمق ضَرَبْنا بسيفه ثم جاءنا بالأكاذيب. كان وكان، انْصَرِفْ إلى أهلك راشدًا[1].

[٧٨][شعر في الشباب والهرم، وبر الوالدين]:

وأنشدنا محمد بن يزيد النحوي، قال: أنشدنا التوزي لغلام يقوله في مؤدِّبة، وكان أقْعَد، فقال: [الرمل]

فَرِحَ المُقْعَدُ لما أُقْعِدا ... فَرْحةً لِلّه حَتَّى سَجَدا
فَسألَ النّاسَ لِماذا قالَ لي ... إنَّني كُنتُ زَمانًا مُقْعَدا
أشتَرِي الثَّوبَ فَلا يَقْطَعُني ... فَهُوَ اليَومَ قَمِيصٌ وَرِدا

[٧٩] قال: وأنشدني الرياشي للربيع بن ضبع الفزاري هذه الأبيات: [الوافر]

ألا أبْلِغْ بَنِيَّ بَنِي رُبَيْعٍ ... فَأنْذَالُ البَنِينَ لكُم إِخاء
بأنِّي قد كَبِرْتُ ورقَّ عَظْمِي ... فلا يَشْمَتْ بكُم عني النِّساء
وإنْ كَنَّافْتِنِي لَنِساءُ صِدْقٍ ... وما أشكُو بَنِيَّ وما أساؤوا

(١) ينشدونه في الشواهد: إذا كان الشتاء فأدفئ ثوبي - شاهد على كان التامة.

إذا جاء الشتاء فأدفئوني ... فإن الشيخ يُهرمه الشتاء[1]
وأمّا حين يَذهبُ كلُّ قُرٍّ ... فيرزالٌ خفيف أو رداء
إذا عاش الفتى مائتين عامًا ... فقد أوْدَى المسرّة والفتاء[2]

[٨٠] قال أبو بكر: ولبعض المحدَثين شبيه بهذا: [الرمل]

لا تَدَعْ لَذَّةَ يومٍ لِغَدِ ... وبِعِ الغَيَّ بتعجيل الرُّشَدْ
إنها إن أُخِّرَتْ عن وقتها ... باختداع النفس عنها لم تعُدْ
فاشْغَل النفسَ بها عن شُغْلِها ... لا تُفَكِّر في حَمِيمٍ وَوَلَدْ
أوَما خُبِّرْتَ عَمَّا قيل في ... مَثَلٍ باقٍ على مَرِّ الأبد
إنما دُنْيَايَ نفسي فإذا ... تَلِفَتْ نفسي فلا عاش أحد

قال أبو بكر: وسألت بندار بن لُزّة عن قول عمر: يُشِيز، فقال لي: يُزْعج، وأنشدني [مخلع البسيط]:

أهَاجَكَ العارضُ الوَمِيضُ ... بَيْهَمُ فقلبي له مَهِيض
يُشِيزُني الشَّوْق عن فِرَاشي ... وكيف يَشْتاق من يَبِيض

ومعنى بَيِيض: يُقيم فلا يَبْرح، يقال: باضَ فلانٌ بالمكان وألَبَّ به وأرَبَّ به إذا لزمه فلا يَبْرَحُه. ومعنى البيت: كيف يشتاق من يقيم مَوضِعَه ويَقصد وطَنَ محبوبه!

[٨٢] [أطيب المجالس]:

قال: وحدثنا محمد بن يزيد قال: قيل للأحنف بن قيس: أيُّ المجالس أطيب؟ قال: ما سافرَ فيه البصرُ واتَّدَعَ فيه البَدَن.

[٨٣] [أحسن الأماكن والأشياء]:

وقيل للمأمون: ما أحسَنُ الأماكن؟ قال: ما بَعُدَ فيه نَظَرُكَ ووقَف استحسانك عليه. فقيل له: فأيُّ الأشياء أحسن؟ فقال: أحسن الأشياء ما نَظَر إليه الناس.

[٨٤] [أطيب المواضع والأوقات]:

قال: وقال محمد بن يزيد: حدثني بعض أولاد العجم، قال: قيل لشُرّاعة بن الزِّنْبُوذ: أيُّ المواضع أطيب؟ قال: ما اجتَمع حُسْنُه، وتوسّطَتْ مسافةُ النظر إليه. وقيل له: أي أوقات الشُّرْب أطيب؟ قال: نَشَاط على غِبّ. قيل له: فإذا استوى ذلك؟ قال: لا تَقُوم الجِلّاقة بضحكات الصُّبُوح. قيل له: فمنْ أمْتَعُ الجلساء؟ قال: الذي إذا عَجِبْتَه عَجِب، وإذا غُنِّي طَرِب، وإذا أُعطي شَرِب، قيل له: فأي المواضع أطيب للشرب؟ قال: إذا لم تكن شمس مُحْرِقة ولا مَطَرٌ مُغْرِق، فالشرب على وجه السماء.

---

(١) ويروى: فقد ذهب المروءة والفتاء، كذا في هامش الأصل. ط
(٢) أخرجه الزجاجي في «أماليه» (ص١٥٩ - ١٦٠).

[٨٥] وأنشدنا الزبير لعبد الرحمن بن حسان في آل سعيد بن العاص - رضي الله تعالى عنهم -: [المتقارب]

إعِفَّاءُ تَحْسِبُهُمْ مِلْحِيًا ... مَرَضَى تُطَاوِلُ أَسْقَامُهَا
يَهُونَ عَلَيْهِمْ إِذَا يَغْضَبُو ... نَ سُخْطُ الْعُدَاةِ وَإِرْغَامُهَا
وَرَتْقُ الْفُتُوقِ وَفَتْقُ الرُّتُوقِ ... وَنَقْضُ الأُمُورِ وَإِبْرَامُهَا

[٨٦] قال: وأخبرنا الزبير، قال: حدثنا عمر بن عثمان، قال: حدثني رجل من أهل مَنْبِج قال: قَدِم علينا الحَكَمُ بن المُطَّلِب بن عبد الله بن المطلب بن حَنْطَب ولا مال معه، فأغنانا كلُّنا. فقلنا: كيف ذاك؟ قال: عَلَّمَنا مَكَارِمَ الأخلاق فعاد غَنِيُّنا على فَقِيرنا فغنِينا كُلُّنا.

[٨٧] قال عمر بن عثمان قال الرَّائِجِيّ يرثي الحكم بن المطلب: [البسيط]

ماذا بِمَنْبِجَ لو نَبْشٍ مقابِرها ... من الشَّهَدُم بالمعروف والكرم
سألوا عن المجد والمعروف ما فَعَلا ... فقلت إنهما ماتا مَعَ الحَكَم

[٨٨] قال[1]: وحدثنا الزبير، قال: حدثني ابن عياش السعدي، عن أبيه؛ قال: رأيت جارية من العرب وضيئة أعجبتني، فمشيت إلى مَظَلَّتِها، فقالت لي عجوز بفناء المَظَلَّة: مالك ولهذا الغَزَال النَّجْدِي؟ والله لا تَحْظَى بشيء. فقالت الجارية: دَعِيه يا أُمَّاه يكن كما قال ذو الرُّمة: [الطويل]

وإن لم يكن إلا مُعَرَّسُ ساعةٍ ... قليلٌ فإنِّي نافِعٌ لي قَلِيلُها

[٨٩] قال: وحدثنا أبو العباس، عن ابن عائشة؛ قال: وقف وفْدٌ بباب عمر بن عبد العزيز، فأبطأ عليهم إذنُه، فقال أحدهم: ما يَصْلُح هذا أن يكون عبدًا للحجاج، فَتَمَّت الكلمة إليه، فأذِن لهم فدخلوا، فقال: أيكم القائل كذا وكذا؟ قال: فأرَمُّوا، فقال: حقًّا لتقولُنَّ، فقال رجل من القوم: أنا قلتها وما ظننتها تَبْلُغ ما بَلَغَتْ. قال: فإن الله يغفر لك، كيف ذكرت الحجاج وما كانت له دنيا ولا آخرة! فهلا فَضَّلْت عَلَيَّ زيادًا الذي جمع لهم كما تَجْمَع الذَّرَّة وحاطَهُم كما تَحُوط الأُمُّ البَرَّة!.

[٩٠] قال: وحدثنا محمد بن يزيد قال: خرج سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم إلى منتزه له، وحَمل معه بناته، فاتبعه أشْعَب، فلم يجِدْ مَسْلَكًا للدخول عليه، فتَسوَّر الجِدارَ، فقال له وقد بَصُرَ به: يا أشعب، اتَّقِ الله بَنَاتِي بَنَاتي، فقال أشعب: لقد عَلِمْتَ ما لَنَا في بَنَاتِك مِنْ حقٍّ وإنَّك لَتَعْلَمُ ما نُرِيد. قال: فَضَحِكَ منه وأدخله.

[٩١] قال: وحدثني محمد بن يزيد، قال: حدثني علي بن عبد الله، قال: دخل قوم على عمر بن عبد العزيز. رضي الله تعالى عنه، فكلَّمهم فأغلظوا له، فَغضب. فقال له ابنُه

---

(١) كذا في الأصل ولعله محرف عن يحسبك بتقديم السين على الموحدة؛ أي: يكفيك من قولهم أحسبني الشيء؛ أي: كفاني. ط

عبدُ الملك: وما يُغضبكَ يا أمير المؤمنين وإنما يَحبِسُك[1] أن تأمر فتطاع؟ فقال: أما غَضِبْتَ أنت يا عبد الملك؟ قال: بلى والله، ولكن ما ينفعني حِلْمي إذا لم أرُدّه على غَضَبي فيسكُن، وأنشد: [الطويل]

وما الحِلْمُ إلا رَدُّكَ الغَيْظَ في الحشا ... وصَفْحُك بالمعروف والصَّدْرُ واغرُ
ترى المَجْد والأحلام فينا فما تَرَى ... سَقِيهَا هَنَا إلاّ وآخَرُ زاجِر

[٩٢] [شعر في الهوى، وإمرة المحبوب]:

قال: وأنشدنا الزبير، قال: أنشدني عمي مصعب بن عبد الله، قال: الزبير وأنشدنيه سعيد بن عمر الزبيري، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال: قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود - رضي الله تعالى عنهم - هذه الأبيات: [الوافر]

تَغَلْغَلَ حُبُّ عَثْمةَ في فؤادي ... ونادِيه مع الخافي يَسِيرُ
تغلغل حيث لم يَبْلُغ شَراب ... ولا حُزْن ولم يبلغ سُرور
صَدَعْتَ القلبَ ثم ذَرَرْتَ فيه ... بِحُبِّكِ فَلِيم فالْتَأم الفُطُور
أكاد إذا ذَكَرْتُ العهدَ منها ... أطير لو أنّ إنسانًا يطير
والفَذَ قادِحاكِ سوادَ قَلْبِي ... كاتَبَ علي ما عِشْنا أمير

[٩٣] قال: وأنشدنا الزبير: [البسيط]

لا تَشْتَمَنَّ امرأ من أن تكون له ... أُمٌ من الرُّوم أو صَفْراء دَعْجاء
فَرُبَّ مُغْرِبةٍ ليست بمُنْجِبة ... وربّما أنجبتْ للفَحْل غَجْماء
وإنما أُمّهات القوم أوعِيةٌ ... مُسْتَوْدَعات وللأحساب آباء

[٩٤] قال: وأنشدني الزبير قال: أنشدني عمّي لابن الحر: [الطويل]

إن تَكُ أُمّي من نساء أصابَها ... سِباءُ القَنَا والمُرْهفات الصَّفائح
فَثَبَّا لفَضْل الحُرّ إن لم أنَلْ به ... كرائمَ أبْنَاء النساء الصَّرائح

[٩٥] [بين يزيد بن عبد الملك وفي عهده هشام]:

قال: وحدثنا الرياشي، قال: كتب يزيد بن عبد الملك إلى هشام، وكان الخليفةَ بعده، هذه الأبيات: [الطويل]

تَمَنّى رجالٌ أن أموت وإنْ أمُتْ ... فتِلْك سبيل لَسْتُ فيها بأوْحَد
فما عَيْشُ من يرجو رَدَاي بضائري ... وما عيش من يرجو رداي بمُخْلَد
فَقُلْ للذي يَبْغِي خِلافَ الذي مَضَى ... تَجَهَّز لأخرى مِثْلِها فكأنْ قَدِ

[٩٦] قال: فكتب إليه هشام: [الطويل]

ومن لا يُغَمِّضْ عَيْنَه عن صَدِيقه ... وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهْوَ عاتب
ومَنْ يَتَتَبَّع جاهدًا كلَّ عَثْرةٍ ... يَجِدْها ولا يَسْلَمْ له الدَّهْر صاحب

[٩٧] قال فكتب إليه يزيد: [الطويل]

لَعَمْرُكَ[1] ما أدري وإني لأوجَلُ ... على أيّنا تَغدُو المَنِيّةُ أوّل

وإني على أشياء منك تَريبُني ... قديمًا لَذو صفح على ذاك مُجْمِل

إذا سُؤْتَني يومًا صَفَحْتُ إلى غدٍ ... ليَعْقُبَ يومًا منك آخرُ مُقْبِل

وإني أخوك الدائم العهد لم أحُلْ ... إن ابْزَاكَ خَصْمٌ أو نَبا بِكَ مَنْزِل[2]

أُحارِبُ من حَارَبْتَ من ذي عداوة ... وأُخبِس مالي إن غَرِمْتَ فأُغْرِم

سَتُقْطَع في الدنيا إذا ما قَطَعْتَني ... يمينُك فانظُرْ أيّ كفٍّ تَبَدَّل

وكنتُ إذا ما صاحبٌ رام ظِنَّتي ... وبَدَّل سُوءًا بالذي كنتُ أفعل

قَلَبْتُ له ظَهْرَ المِجَنِّ ولم أدُمْ ... على ذاك إلا زِيْتَ ما أتَحَوَّل

وفي الناس إن رَثَّتْ حبالك واصل ... وفي الأرض عنْ دار القِلي مُتَحَوَّل

إذا أنت لم تُشْفِف أخاك وجَدْتَه ... على طَرَف الهِجْران إن كان يَعْقِل

ويَرْكَبُ حدَّ السَّيْف من أن تَضِيمه ... إذا لم يكن عن شَفْرة السَّيْف مَزْحَل

[٩٨] قال أبو علي: وأنشدنا أبو بكر قال: أنشدنا الزبير بن بكار: [الطويل]

وأبْثَثْتُ عمرًا بعضَ ما في جَوانحي ... وجَرَّعْتُه من مُرّ ما أتجرَّع

ولابُدَّ من شكوى إلى ذي حَفيظة ... إذا جَعَلَتْ أسرارُ نفسي تَطَلَّع

[٩٩] قال: وأنشدنا أيضًا: [الطويل]

ألا يا خليلَ النفس هل أنت قائل ... لزينب حاجاتي التي أنا هائب

وما بِيَ عيٌّ أن أقول بحاجتي ... ولكنّما يَمْشِي عَليّ الرَّقائب

بَلَى فاسْلَمِي يا دارَ زَيْنَبَ وانْعِمِي ... صَباحًا إذا ما كان سَلْمٌ مُقارِب

فأمّا سَلامٌ والحُرُوبُ مكانها ... فلا كَيْفَ يُهْدِي بالسلام المُحارب

[١٠٠] قال أبو علي: وأنشدنا أبو بكر بن أبي الأزهر، قال: أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب لبعضهم: [البسيط]

إنّي وإنّ بني عمّي لَفِي حُلُقٍ ... عمّا قليل أراه سوف ينكشف

يُزَمِّلون جنين البُغْض بينهمُ ... والضِّغْن أسْوَد أو في وجهه كَلَف

إذا لَقِيناهُمُ تَمْتْ عيونهمُ ... والعَيْن تُخبِر ما في القلب أو تَصِف

---

(١) بهامش الأصل: يروى لعمرو، وهذا الشعر لمعن بن أوس. ط

(٢) أبزاك خصم: غلبك وقهرك، ومنه قول أبي طالب يعاتب قريشًا في أمر رسول الله ﷺ ويمدحه:

كذبتم وحق اللّه يزي محمد ... ولما نطاعن دونه وتناضل ط

[١٠١] [بنت مسلمة بن عبد الملك ونصيب الشاعر]:

قال: وحدثنا محمد بن يزيد، قال: حدثني ابن عائشة؛ قال: قال مسلمة بن عبد الملك لنُصَيْب: أمدحتَ فلانًا؟ يعني رجلاً من أهل بيته. قال له: قد كان ذاك. قال: أوَ حَرَمَك؟ قال: قد كان ذاك. قال: أفلا هَجَوْتَه؟ قال: لم أفعل. قال: ولِمَ؟ قال: لأني كنت أحقَّ بالهجاء منه، إذ وضَعْتُ مدحي في مثله، فأعْجَب مسلمَةَ قولُه، فقال له: سَلْني. قال: لا أفعل. قال: ولِمَ؟ قال: لأن يَنْبَكَ بالعطاء أسْمَحُ مني بالسؤال، فأعطاه ألفَ دينار.

[١٠٢] قال: وأنشدنا محمد بن يزيد لشيخ من الأزد يقوله في محمد بن يحيى بن خالد وقد امتدحه فحرَمه: [الوافر]

أقِلْني يا مُحَمَّدُ بنَ يَحيى ... مقالا لم أكن فيه صَدُوقا

جعلتُك فيه ذا مجد ويُمْن ... وتلك مقالة بك لن تَليقا

فلَسْتَ بضائر أبدًا عَدُوًّا ... ولست بنافعٍ أبدًا صَديقا

[١٠٣] قال: وأنشدنا أيضًا: [الطويل]

مِنَ الناس مَنْ يَغْشَى الأباعدَ نَفْعُه ... ويُشْقِي به حَتْفَى العِمامةِ أقارِبُهْ

فإن كان خيرًا فالبعيد يَنالُه ... وإن كان شرًّا فابْنُ عمك صاحبُه

[١٠٤] قال: وأنشدنا محمد بن يزيد: [الطويل]

سقاني هُذَيْلٌ من شراب كأنّه ... دَمُ الجَوْف قد هُذِّي الحليمَ من الجهل

خَطَطْتُ عليه واقر العقل صاحيًا ... فما زال بالتقريب والأهل والسهل

وما زِلْتُ أسْقَى شربةً بعد شربة ... من الراح حتى أبْتُ مُخْتَلَسَ العقل

سقاني ثلاثًا واثنتين وأربعًا ... فَخُمِّرْنَ ما بين الذُّؤابة والنَّعْل

فَرُحْتُ كأنَّ الأرضَ أرْكُلُ مَتْنَها ... إذا هي دارت بي فَيَعْدِلُها رَكْلي

كأنّي وتَفْسي بين دار ابن سالم ... ودار غريب في أفاحِيصَ أوْ وَحْل

[١٠٥] [كثير يختال لجميل ليرى بثينة]:

قال: وحدثنا أبو زيد عمر بن شَبَّة، قال: حدثنا الباهلي، عن الأصمعي، عن أبي عمرو بن العلاء، قال: حدثني أدهم التميمي؛ قال: لقيت كُثَيِّر عَزَّة، فقال لي: لقيني جميل بن معمر في موضعك هذا، فقال لي: من أين أقبلت؟ فقلت: من عند أبي الحبيبة وإلى الحبيبة، أعْنِي أبا بُثَيْنَة وأعْنِي عزَّة. فقال لي: إن لي إليك حاجة ولابدّ من قضائها: تَرْجع إلى بُثَيْنَة وتُواعدها لي مَوْعِدا. قلت: إنّي أستحي من أبيها وعَهْدي به آنفًا. قال: فلابدّ من ذاك. قلت: متى أحْدَثْتُ عَهْدِك بها؟ قال: بالدَّوْم وهم يَرْحَضُون ثيابًا. قال: فرجعت إلى أبيها

عَوْدِي على بَدْئي، فقال: ما ردَّك يابن أخي؟ قال: قلت أبياتًا عَرضتْ لي أحببت أن أُنْشِدكها قال: وما هي؟ قلت: [الطويل]

وقُلتُ لها يا عَزَّ أرسل صاحبي ... على نَأي دارٍ والرَّسُول مُوَكَّل

بأن تجعلي بيني وبينك مَوْعِدًا ... وأن تأمريني بالذي فيه أفعل

وآخرُ عهد منك يوم لَقِيتِني ... بأسفل وادي الدَّوْم والثَّوْبُ يُغْسَل

قال: فَضَرَبتْ بثينة الجدار، وقالت: اخسأ اخسأ، فقال لها الشيخ: مَهْيَمْ يا بثينة؟ فقالت: كلب يأتينا إذا نَوَّمَ الناسُ من وراء الرابية. قال: فرجعت إلى جميل فأخبرتُه أنها قد وَعَدَتْه إذا نَوَّم الناس من وراء الرابية.

[١٠٦] قال: وحدثنا الزبير قال: حدثني محمد بن يحيى قال: حدثني رجل من أهل اليمامة قال: كان لنا غلام زِنْجِي أعجمي قد نَطَق وفَهِم شيئًا من العربية، وكان يسوق ناضحًا لنا ويرتجز بكلام لا نَتَبَيَّنه، فمر بنا رجل فسمع كلامَه وأصغى إليه، فقلنا له: أتفهم ما يقول؟ قال: نعم ينشد: [الطويل]

فقلت لها أنّى اهتديتِ لِفِتْيَةٍ ... أناخوا بجَنْجاعٍ فَلاتِص سُهْمَا

فقالت كذاك العاشقون ومن يَخَفْ ... عيونَ الأعادي يجْعَلِ اللَّيل سُلَّما

قال: فكنا نتفهمه بعد فنرد لفظه إلى ترجمتنا.

[١٠٧] قال: وأنشدنا محمد بن يزيد لأعرابي يقوله في ابنه: [المتقارب]

ألا يا سُمَيَّةُ شُبِّي الوَقُودا ... لَعَلَّ الليالي تُؤَدِّي يزيدا

فنفسي فداؤُك من غائب ... إذا ما المَمارِحُ أضحت جَليدا

كفاني الذي كنتُ أسْعَى له ... فكان أبًا لي وكُنْتُ الوليدا

[١٠٨] [أبو جعفر المنصور والشامي الأديب]:

قال: وحدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا يحيى، قال: حدثني رجل من ولد خزيمة بن يحيى قال: قدم رجل من أهل الشأم من بني مُرَّة على أبي جعفر المنصور، فتكلم معه كلامًا حسَنًا، فقال له أبو جعفر: حاجَتك؟ فقال: يُبْقِيك الله يا أمير المؤمنين. قال: حاجتك فإنه ليس كلَّ ساعة يُمْكِنُك هذا ولا تؤمر به؟ فقال: والله ما اسْتَقْصِر عُمْرَك، ولا أخاف بُخْلَك، ولا أغْتَنِم مالَك، وإنَّ سؤالك لَشَرف، وإن عطاءك لَزَيْن، وما بامرئ بَذَل وَجْهَه إليك نَقْصٌ ولا شَيْن، فقال أبو جعفر: يا ربيع، لا ينصرف من مقامه إلا بمائة ألف درهم: فَحُمِلت معه.

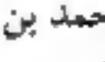

[١٠٩] قال: وأنشدنا محمد بن يزيد: [الخفيف]

كُلَّ يوم يمُرُّ يأخُذُ بعضي ... يأخذ الأطْيَبَيْن مِنِّي ويَمْضِي

قد تَلَذَّذتِ بالمعاصي قديمًا ... نَفْسِ كُفِّي ليس المعاصي بفَرْض

[١١٠] قال: وأنشدنا أيضًا: [الخفيف]

كُنْ حَبِيبًا إذا خَلَوْت بذنب ... واحْذَرِ السُّخْطَ مِنْ عَلِيٍّ مَجِيدا
وَيْكَ بارزْتَ مَن يَراك عُتُوًّا ... وتَوارَيْتَ عن عيون العبيد
وبِحِلْم الإله عُذْتَ إلى الذنـ ... ـب ولم تَخْشَ غِبَّ يوم الوعيد
أقَرَأْتَ القرآن أم لَسْتَ تَدْرِي ... أن ذا العَرْش ذُودَ حَبْل الوريد

[١١١] [رثاء أبي بكر بن دريد، وشعر في الوَجْد والسُّلْوة عند المصيبة، والرضى بالقضاء، وتبدّل الحال مع الدَّهر]:

انتهى ما أملاه أبو علي من النوادر زائدًا على ما في الأمالي صِلَةً لها - بحمد اللّه وعونه -، وآخر ما جمعت من ذلك قصيدةٌ رُثِي بها أبو بكر بن دريد لبعض البغداديين يقولها فيه - تَغَمَّده اللّه برحمته ورضوانه - وهي هذه: [الطويل]

يلُوم على فَرْط الأسَى ويُفَنِّدُ ... خَلِيٌّ من الوَجْد الذي يتجدّد
ويُكْبِر أن يَسْهلْ دمعُ أرْبَعِه ... لِضَرْم نار في الحَشَا ليس تَخْمُد
ويَسْتَصْغِرُ الرُّزْءَ الذي جَلَّ قَدْرُه ... وكلُّ امْرِئٍ بالِيْ عليه ومُسْعِد
حَرامٌ على الأجفان أن تَرِدَ الكَرَى ... لِعَيْنٍ سَقاها إلا الشُّهُد مَوْرِد
ويَسْهُلُ على المحزون أن يقْبَل الأسَى ... بَلَى حَظُّه حُزْنٌ به الدهر يكْمَد
فما لِجُفُوني عِنْدَهُ حين تَرْقُد ... ولا لِدُمُوعي سَلْوة حين تَجْمُد
هو الدهر يرمينا بأسهم صَرْفِه ... فَيُصْمِي الرَّمايا حين يَرْمِي ويُقْصِد
فلا جَمْعَ إلاّ والزمان مُفَرِّق ... ولا شَمْلَ إلا بالخُطُوب مُبَدَّد
ولا عهد إلا والليالي وصرْفُها ... تَحُول به عن كل ما كنت تَعْهَد
ولا حال إلا وَهْيَ رَهْنٌ تَنَقُّل ... إذا صلَحت في اليوم أفسدها الغَد
جَرَتْ عادةُ الدنيا بكل الذي تَرَى ... وليس لها تَرْكٌ لما تَتَعَوَّد
فصبرا وتسليمًا لكل مُلِمَّة ... إذا لم يكن يومًا على الدهر مُنْجِد
لَعَمْرُك ما أصبحتُ جَلْدًا على التي ... مُنِيتُ بها لكنَّني أتَجَلَّد
أفِي كلّ يوم يُفْقِد الدهرُ ماجدًا ... يَعِزُّ علينا فَقْدُه حين يُفْقَد
وتَفْجَعُنا الدنيا بِعِلْق مُفَلَّةٍ ... تُنافِس فيها ما حيينا وتَحْسُد
نُوَدِّعُ خُلَّان الصفاء وتُقْطَع الـ ... ـمقاديرُ مِنَّا وُدَّ من يَتَوَدَّد
نُفارِقُ من تَلْقَى الرَّدَى بفراقه ... ويَنْأى القريب الإلْفُ منا ويَبْعُد
أرانا بصَرْفِ الدهر نَفْنَى ونَنْفَد ... وتَفْنَى صُروف الدهر أيضًا وتَنْفَد
عليك أبا بكر سلامٌ ورحمةٌ ... بها في جِنان الخلد أنت مُخَلَّد

وجاد ثَرَى ضمّنتَه كلُّ وابلٍ ... من المُزن وكّافٌ يُراح وَيَرْعُدُ
إذا ما استطار البرقُ في جَنَباتِه ... حَسِبْتَ الظِّبا فيه عشاء تُجَرَّد
وإن أرْزَمَتْ فيه الرَّواعدُ خِلْتَه ... حَنِينَ مِتالٍ في يَفاعٍ يُبَرَّدُ
فقد ضَمَّ مِنك التُّرْبُ مَجْدا ومُؤدَدا ... يُقَصِّر عن أدْنَى مَداه المُسَوَّد
فَقَدْنَاك فُقْدانَ المَصابيح في الدُّجى ... إذا ضَلَّ عن قَصْدِ الهداية مقْصَد
وماتت بموت العلم منك قلوبُنا ... وكُنْتَ حَيَاها لم تزل بك تَرْشُد
لِتَبْكِكَ أبكارُ المعالي وعُونُها ... وعُرُّ القوافي حين تُروى وتُنْشد
تَسِير مسير الأنجم الزُّهر كلّما ... خَبَا ضَوْء ثِغْر أشرقتْ تَتَوَقَّد
لأنْشَرْتَ بالعلم الخليلَ فَجِلْتَنا ... تُشاهِده إن ضَمَّنا منك مَشْهَد
وجالَسْتَنا بالأصمعيّ ومعْمَرٍ ... وأوْجَدْتَنا ما لم يكن قبلُ يُوجَد
وخِلْنا أبا زيد لَدَيْنا مُمَثَّلا ... وأنت بفضل العلم أعلى وأزْيَد
وشاهَدْتَنا بالمازنيّ وعلمه ... وما غاب عنّا إذ حَضَرْتَ المُبَرِّد
وكنت إمامًا في الروايات كلِّها ... يضافُ إليك الصِّدْق فيها ويُسْنَد
هَوَتْ أنجمُ الآدابِ والعِلم واعْتَلَتْ ... رياضُهُما من بعده وهي هُمَّد
وكانَ جنابُ العلم إذ كان مُخْصِبا ... وأفنائه مِيلٌ رواءٌ تَمِيد
فقد أصبحتْ مُذْبان وَهْي هَشائمٌ ... ثوابتها تُجتَثُّ منها وتُغْصَد
مضَيْتَ أبا بكر حميدًا وخَلَّفَتْ ... مساعِيك فَضْلاً بيننا ليس يُجْحد
كما ودَّع الغيثُ الذي عمَّ نَفْعُه ... وأضْحَى به كلُّ البرية يُرْفَد
تَوَحَّدْتَ بالآداب والعلم والحجا ... فأنت بحُسْن الذكر منها مُوَحَّدُ
حَمَلْنا بك الأيّام ثُمَّتَ عاضَنا ... مُصابُك منها ذَمَّ ما كان يُحْمَد
شَهِدْنا على الأيّام أنَّ سُرورَها ... غُرورٌ كما كنا بفضلك نَشْهَد
على أيّ شيءٍ منك نَأسى إذا جرت ... محاسنُ وصْفٍ بادئاتٌ وعُوَّد
على علمك الوارى الزِّنادِ إذا غدا ... زنادُ امرئٍ في علمه وهو مُصْلِد
وأخلاقك الغُرّ التي لو تَجَسَّدتْ ... لكانت نجومَ السَّعْد حين تَجَسَّد
على رأيك الماضي المُضِيء الذي به ... يُفَضُّ رِتاج الخَطْبِ والخطبُ مُؤْصَد
لقد شَمِلَتْ فِيك الرَّزِيَّةُ يَعْرُبًا ... ولم يَخْلُ منها فيك من يَتَمَعْدَد
مَضَى ابن دُرَيْد ثم خَلَّد بعده ... صوائرَ أمثالٍ تَغُور وتُنْجِد
بدائع من نَظْمٍ ونَثْرٍ كأنّها ... عُقودٌ زَهاها دُرُّها حين تُعْقَد
كأن لم تكن تُرْوَى غَلِيلَ مَسامع ... بقَوْلٍ به يُطْفَى الغليل ويُبْرَد

ولم تَلْدَوِ الخَضْمِ الألَدُّ بِمُنْكِتٍ ... يُغَادِرُه مُسْتَوْهِلاً يَتَلَدَّد
ولم تُوقِظ الآراءَ عند سِنَاتِها ... وقد تَوْسَنُ الآراءُ حِينًا وتَرْقُد
ولم تَجْلُ أصداءَ القلوب ولم يُقِمْ ... بِقَائِلِك منها كُلَّ ما يتأوَّد
فما منك مُغْتَاضٌ ولا عَنْكَ سَلْوَةٌ ... تَظِيرُك معدوم وحُزْنِي مؤبَّد
عليك سلامُ اللّه ما فَرَّ شارقٌ ... وغَرَّد في الأيْك الحمَام المُغَرِّد

كمل الكتاب والحمد لله وحده حمدًا كثيرًا
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى